المسألة القوميّة في الاتحاد السوفيتي

الكسندر زيفيليف
دكتوراه في علوم التاريخ

المسألة القومية في الاتحاد السوفييتي

دار نشر وكالة « نوفوستي »
موسكو ١٩٧١

مقـــدمة

كان يعيش فى أرض روسيا القيصرية فيما سبق ، أكثر من مائة شعب وقومية مختلفة . وكان الروس يشكلون أقل من نصف مجموع السكان (٤٣٪) ، أما ما يربو على النصف بقليل (٥٧٪) فكان من القوميات غير الروسية . وكانت الأمة الروسية تسكن بصفة رئيسية المناطق الوسطى من الجزء الأوربى لروسيا . أما شعوب القوميات غير الروسية الأخرى فكانت تعيش كقاعدة فى أطراف الامبراطورية .

لم يكن الانتماء القومى وحده هو عامل التمييز بين شـعوب روسيا قبل الثورة ، بل ومستوى التطور الاجتماعى والسياسى كذلك . فالأمة الروســية على سبيل المثـال ـ بلغت مســتوى متوسطا من الرأسمالية ، ويسرى هذا بدرجة معلومة على شعوب بولونيا وبحر البلطيق ، والتى كانت آنذاك جزءا من روسيا ، وكذلك نفس الوضــع بالنسبة لاوكرانيا . أما شـعوب القوقاز : الأرمن والجورجيــون والاذربيجانيون ، والتركســتان جـزئيا (آســيا

الوسطى) وشعوب مناطق وسط نهر الفولجا - فكانت كلها في المراحل الأولى من تطور الرأسمالية . أما شعوب آسيا الوسطى عامة « محافظة تركستان ، امارتا خوى وبخارى » فكانت فى مرحلة من التطور الاقطاعى تقريبا ، محاولة اللحاق بالرأسمالية ببطء وصعوبة .

ولقد كانت في الامبراطورية الروسية كذلك ، شعوب وسلالات تسودها تماما العلاقات الاقطاعية - الأبوية ، بل وكانت لدى البعض منها الأشكال القبلية المرتبطة بالبداوة والصيد وتربية الماشية .

وكانت شعوب روسيا كذلك فى وضع مختلف من حيث درجة الارتباط بالقيصرية . فتركستان مثلا وصفها فلاديمير لينين بانها مستعمرة بحتة . أما امارتا بخارى وخوى اللتان كانتا هناك ايضا في وسط آسيا ، فكانتا ، على حد تعبير فلاديمير لينين ، « شبه مستعمرة » . أما محافظات بحر البلطيق المتطورة بما فيه الكفاية من الناحية الاقتصادية ، فكان يحكمها المحافظون الروس ، وكان حكم بولونيا موكلا الى عامل القيصر . وبعد غزو فنلندا اعتبر القياصرة الروس أنفسهم أمراء عظاما لفنلندا . وقصارى القول كانت غالبية شعوب روسيا تنتمى الى أمم غير مستقلة أو غير متساوية فى الحقوق .

وعلاوة على ذلك كانت الشعوب غير الروسية من جانب المستغلين من « بنى جلدتها » والذين كانوا يتفانون فى خدمة القيصرية وعلاوة على الخانات (الامراء) والبايات (الاقطاعيين) - كانت فى هذه المناطق مجموعة كبيرة من أصحاب الأعمال تنتمى إلى البرجوازية المحلية . وكانوا يملكون ، إما وحدهم أو بالمساهمة مع أصحاب المصانع الروس : مصانع المعاملة الأولية للخامات ، ومحطات محدودة القدرة لتوليد الكهرباء ومواطن غير كبيرة

للثروات المعدنية ... الى آخره . وكانت القيصرية تؤيد بشتى الطرق الاقطاعيين المحليين ، كما جعلت من البرجوازية الناشئة في هذه المناطق ظهيرا لها .

وكان الكادحون في الامبراطورية الضخمة يئنون من نير سلطة القيصر الروسي وادارته العسكرية والمدنية . اما الشعوب الصغيرة ، فكانت تعاني اضطهادا مزدوجا : استبداد الحكم الروسي من جهة ، ومن جانب المستغلين من بني جلدتهم ، والذين كانوا يتمتعون بتأييد رجال الاديان المختلفة ، وتأييد الرأسماليين الأجانب . ذلك لأن الكثير من مجالات الصناعة الروسية كانت في ايدى راس المال الأجنبي ، وبالدرجة الأولى في يد رأس المال الفرنسي والبلجيكي والانجليزى والالماني والأمريكي . فكان الأجانب يسيطرون على صناعتي استخراج الفحم والفلزات بأوكرانيا ، وآبار البترول في اذربيجان والمناجم في كازاخستان ، وصناعة حليج الاقطان في آسيا الوسطى .

وتفاقمت التفرقة السياسية لشعوب روسيا بالتفرقة الاقتصادية والثقافية . فكانت غالبية هذه المناطق القومية بمثابة ضيعات زراعية ومصادر للخامات للدولة المستعمرة — مناطق يهجرون اليها السكان الزائدين من المحافظات المركزية . وكانت السلطات القيصرية تسعى لاسكان هذه المناطق بأكبر عدد من الفلاحين الروس الموسرين والقوزاق (قوات رجعية خاصة كانت القيصرية تستخدمها لقمع الانتفاضات الثورية للكادحين) .

وكانت صناعة أغلب المناطق القومية في مرحلة البدائية . وكان هذا يعود بالنفع المزدوج على القيصرية : أولا — بقيت هذه المناطق سوقا سهلا لترويج سلع الدولة المستعمرة ، وثانيا — تعطل تكون طبقة البروليتاريا الوطنية — الأخت الشقيقة لطبقة عمال وسط البلاد وحليفتها .

كان عمال المناطق القومية يعملون ، كقاعدة ، ١٧ ــ ١٨ ساعة يوميا لقاء أجر زهيد . وبلغت صعوبة العيش درجة كبيرة بالنسبة للعمال الزراعيين فى المناطق الشرقية بصفة خاصة . فكان الرجل يحصل فى العام على ٨٦ روبلا ، والمرأة ٥٦ روبلا ، وغير البالغ ٣٣ روبلا . وطبقا لتقديرات الخبراء الاقتصاديين فان الفرد البالغ كان يحتاج الى انفاق ٩٨ روبلا فى العام على التغذية وحدها . ولذلك كان العاملون دائما مدينين لأصحاب الأعمال بديون لا يقدرون على سدادها .

وهاكم طريقة اخرى لنهب شعوب المناطق القومية الشرقية ؛ فلقد كانت اسعار السلع الصناعية والغذائية التى تصدر الى هذه المناطق تصل الى حد الخيال فى الوقت الذى تحدد فيه أسعار الخامات التى تصدرها هذه المناطق بصورة منخفضه للغاية . فعلى سبيل المثال ، كان الشاى والسكر يباعان هنا أغلى أربع مرات منهما فى روسيا الوسطى ، والسماور الذى كان يساوى ٧ روبلات ، بيع فى تلك المناطق بـ ١٤ روبلا . هذا فضلا عن قسوة جامعى الضرائب والمرابين .

كان الامبرياليون باستيلائهم على أفضل الأراضى يضيقون الخناق على السكان الأصليين دافعين اياهم الى المناطق الصحراوية والجبلية . ولقد أعطى أمير بخارى قبل بداية الحرب العالمية الأولى الكثير من الأراضى لأصحاب الامتيازات الأجانب وذلك بتصريح من السلطات الروسية .

وكان مصير الشعوب السيبيرية الصغيرة لا يحتمل . فهناك جميع أصحاب الأعمال منعدمى الضمير ثروات خيالية ، اذ كانوا يقايضون السكان المحليين على أساس الذهب والفراء الثمين والاحجار الكريمة مقابل ما يقدمونه لهم من الملح وذخيرة الصيد ، بل ومقابل اتفه التوافه .

وتفاقم الظلم الاقتصادى بعدم المساواة السياسية والتخلف الثقافى لشعوب المناطق القومية فى روسيا قبل الثورة • فلقد كان من السهل على الاقطاعيين والرأسماليين السيطرة على الشعوب المتخلفة ، ولذلك وعلى سبيل المثال كان من بين كل ٢٠٠٠ من سكان تاجيكستان قبل الثورة شخص واحد متعلم فقط .

ويتذكر خ • ساليبايف المعلم الحائز على لقب الجدارة فى جمهورية تاجيكستان السوفييتية ، الواقعة التالية : « حدث ذلك منذ اكثر من خمسين عاما فى قريتى ، اذ ان احد أبناء قريتى ـ لا اذكر الآن اسم عائلته ولكنى أذكر ان اسمه شريف ـ تلقى رسالة ذات مرة فى أوج الشتاء من أخيه فى مدينة فرغانة • ومن الطبيعى فان أخاه رحل الى هناك نتيجة مرارة الحياة ، ولم يرسل مدة طويلة ما يطمئن عنه • وها هى رسالة فى نهاية الأمر • كانت فرحة الأقارب دون حد ولكن بكل أسف كانوا أميين ولم يستطيعوا قراءتها . وطرق شريف الباب تلو الآخر بحثا عن شخص متعلم ، ولكن هيهات ... لم يكن هناك متعلم واحد من بين الـ ٣٠٠ البالغين من سكان القرية . وعندئذ بدأ شريف يبكى بحرقة وهو يمسك بقطعة الورق هذه بين يديه . وأخذ الفلاحون يهدئونه طويلا ونصحوه بالذهاب الى القرية المجاورة ، والتى كانت توجد خلف مضبق جبلى كبير ••• وكان أن ذهب الى هناك ••• » •

كان يدرس فى مدارس روسيا القيصرية قبيل بداية الحرب العالمية الأولى ٨ ملايين و١٣٧ ألف تلميذ ـ أى خمس مجموع الأطفال والأحداث .

وكان فى روسيا آنذاك ٩١ معهدا دراسيا عاليا ، اكثر من نصفها فى موسكو وبتروجراد (لينينجراد الحالية) . كانت أوكرانيا بمساحتها الضخمة بها ١٩ معهدا عاليا ، اما جورجيا ذات التاريخ القديم فبها معهد واحد فقط • ولم يكن هناك أى معهد فى بيلوروسيا أو أذربيجان أو ارمينيا ، أو أوزبكستان أو

كازاخستان أو تركمانيا أو تاجيكستان • وكان عدد الحاصلين على تعليم عال من بين الأوزبيك قبل الثورة شخصين فقط •

كانت نفقات تعليم المواطن الواحد بالامبراطورية الروسية عام ١٩١٣ تشكل ٨٠ كوبيكا في المتوسط في العام • أما في أوزبكستان فيبلغ متوسط نفقات تعليم الفرد الواحد ٢٢ كوبيكا وفي تركمانيا ـ ١٥ كوبيكا لا غير • ولم يكن لدى أكثر من ٤٠ قومية كتابة خاصة بهم . واما غالبية شعوب روسيا قبل الثورة والتي كانت لديها كتابة خاصة بها ، فكانت لا تستطيع لا القراءة ولا الكتابة بلغاتها القومية .

كانت شعوب المناطق القومية بأطراف البلاد تعيش في ظروف معيشية صعبة للغاية . فالجوع والبرد والعمل المضني دائما مع الأمراض المعدية الخطرة ، كالطاعون والكوليرا والجدري والحمى الراجعة وخلافها ••• وهي الأمراض التي كانت تتسبب في نكبات لا حصر لها بالنسبة للشعب . وزادت هذه النكبات حدة بالوضع السيىء للحفاظ على الصحة في روسيا قبل الثورة • فكان لكل ٥٠ الفا من السكان في اوزبكستان آنذاك ـ على سبيل المثال ـ طبيب واحد فقط . بل وكانت نسبة كبيرة من قوميات الشمال لا تملك ادنى تصور بالمرة عن المساعدة الطبية الماهرة . وكانت في روسيا قبل الثورة أعلى نسبة للوفيات بالمقارنة بغالبية الدول الاوربية ، والولايات المتحدة واليابان . اذ بلغت نسبة الوفيات بين السكان في روسيا عام ١٩١٣ ، ١ر٢٩ لكل ألف نسمة أما نسبة الوفيات بين الأطفال فكانت عالية بصفة خاصة • فكان يموت في روسيا كل عام حوالي مليوني طفل ممن لم يبلغوا عامهم الأول ـ أى ربع مجموع المواليد عامة .

لقد قضت القيصرية على شكل الدول التي كانت متطورة في وقت ما وهي دول الشعوب غير الروسية القديمة مثل الاوزبيك والأرمن وشعب جورجيا • ولم يستثن من ذلك سوى فنلندا التي

كانت تتمتع بحكم ذاتي شكلي ، ومع ذلك فقد كان هذا الاستثناء صوريا بقصد خداع الرأي العام العالمي فقط . فلقد كان المسيطر الحقيقي على فنلندا محافظ القيصر وجهاز العنف والاضطهاد التابع له .

ولقد حلت آنذاك اسماء جديدة بدلا من أسماء المناطق القومية التقليدية . ولم تكن الأسماء الجديدة تتوافق وتاريخ وتقاليد شعوب هذه المناطق ولكنها كانت مفيدة للمستعمرين . فاطلقوا اسم روسيا الصغرى على أوكرانيا ويقابله اسم روسيا العظمى — اى روسيا ، واسموا الكازاخيين بالقرجيز والقرجيز بالكراقرجيز ، واسموا الاوزبيك بالسارتي (تعني الشعب الاصفر) ... وهكذا .

وعمدت الحكومة القيصرية الى اشعال نار الفرقة القومية ، للسيطرة على الشعوب العديدة . فكانت تؤلب شعوب القوقاز بعضها على بعض تحقيقا لهذا الغرض ، الأمر الذي نتجت عنه مذابح دموية لا نهاية لها . وكانت تقوم بتشجيع مذابح اليهود في أوكرانيا بشتى الطرق .

ولقد وصف فلاديمير لينين روسيا القيصرية بأنها سجن الشعوب . ومع ذلك ، ورغم اثقال حياة الكادحين في روسيا القيصرية ، ورغم الظلم المزدوج الذي كانت تتعرض له شعوب المناطق القومية — فان اتحادهم جميعا في الدولة الروسية كان ظاهرة تقدمية . واتحادهم في دولة قوية بالذات هو الذي أنقذ الكثير من الشعوب من الفناء الكامل أو من ان تبتلعهم دولة معادية ، وهو الذي ساعد القوميات الصغيرة في أن تبقى على أصالتها القومية وثقافتها الوطنية .

ولقد تم الاتحاد بطرق مختلفة ، فبيلوروسيا واوكرانيا اتحدتا طوعا نتيجة الالتقاء بالشعب الروسي من حيث المصير التاريخي

والأصل . أما الجورجيون والارمن فقد رأوا فى انضمامهم للدولة الروسية طريقا للخلاص من الهجمات الدموية المخربة للاتراك والفرس ، والتى كانت تنهك قواهم فى الواقع • أما الشعوب الأخرى فقد ضمت الى روسيا عن طريق الغزو والمعارك الدامية •

ان اتحاد اوكرانيا وروسيا ... اتحاد هذين الشعبين السلافيين العظيمين قد قرب بينهما ودعم قواهما فى النضال المشترك ضد الاضطهاد المشترك ، وذلك رغم السياسة الرجعية للقيصرية والاقطاعيين الروس والأوكرانيين والبرجوازية • ولقد انقذ الاتحاد أوكرانيا من ان تستعبدها بولونيا الاقطاعية وتبتلعها السلطة العثمانية •

والفكرة التقدمية لانضمام آسيا الوسطى الى روسيا تقوم أساسا على أن الأفكار التقدمية بدأت تتغلغل من روسيا ، والتى كانت قد أصبحت مركزا للحركة الثورية العالمية •

ان انتشار أفكار* الماركسية للينينية فى تركستان كان ذا أهمية من الدرجة الأولى بالنسبة للكادحين فى آسيا الوسطى فى نضالهم المشترك مع الشعب الروسى ضد الاستبداد والاستغلاليين المحليين ، وفى انفتاح حركة التحرر الوطنى •

وحتى قبل ظهور البروليتاريا كقوة سياسية مستقلة ، كانت الحقائق تشير الى اشتراك الشعب الروسى والشعوب غير الروسية فى النضال ضد القيصرية ، ذلك لانها كانت من ألد أعداء الشعب الروسى والشعوب الأخرى غير الروسية • ورغم أن هذه الحركات كانت تحمل طابعا عفويا ومشتتا ، الا انها هزت دعائم نظام السخرة وكتلت الجماهير فى مواجهة العدو المشترك • وفضلا عن ذلك فان تاريخ روسيا ملىء بالعديد من الانتفاضات القومية المختلفة الأهداف والمضمون الطبقى والدينى •

وكانت القوى التقدمية للامة الروسية دائما فى جانب الشعوب المضطهدة ، تنادى بحق جميع الشعوب فى الاستقلال الوطنى ، وتنادى بصداقة الشعوب .

اكتسبت حركات التحرر الوطنى حليفا قويا وقائدا وزعيما ، وذلك بخروج الطبقة العاملة الروسية الى مسرح الأحداث السياسية ، وبظهور حزبها الماركسى اللينينى . وكانت للثورة الروسية الأولى (١٩٠٥) اهمية كبرى خاصة بالنسبة للايقاظ السياسى للشعوب المضطهدة ، ذلك لأنها اثارتهم للنضال ضد القيصرية والاقطاعيين والرأسماليين .

واندمج نمو حركة التحرر الوطنى لأطراف الامبراطورية القيصرية فى تيار واحد مع الحركة البروليتارية فى روسيا . ولقد قال لينين قبيل ثورة أكتوبر الاشتراكية المجيدة ، فى المؤتمر السابع (مؤتمر ابريل) لحزب البلشفيك الاشتراكى الديمقراطى الروسى (هكذا كان يسمى آنذاك الحزب الشيوعى) - قال : « اننا سوف نؤثر بتطور ثورتنا على الجماهير المضطهدة » .

ولقد وجدت الامم والقوميات المضطهدة فى الحزب الشيوعى وتنظيماته المحلية معبرا عن مصالحها الحيوية . فكان الحزب الماركسى اللينينى يشير لها الى المخرج السليم الوحيد ، كما كتلها فى النضال من أجل التحرر الاجتماعى والوطنى .

لينين حول المسألة القومية

(بعض النظرية)

انشيء الحزب الشيوعى فى روسيا ونما وتطور كحزب للامميين البروليتاريين الحقيقيين . والحزب الشيوعى سمته العميقة هى الاممية فى ايدلوجيته وتكوينه وطبيعة نشاطه .

وكان شيوعيو روسيا منذ الايام الأولى لانشاء الحزب ـ قد اولوا النظرية الثورية أهمية من الدرجة الأولى ، واخذوا يعدون البرنامج الماركسى بشأن المسألة القومية .

ومنذ البداية لم يسم حزب العمال الديمقراطى الاشتراكى فى روسيا نفسه بحزب العمال الديمقراطى الاشتراكى « الروسى » ، بل « روسيا » . وهذا يعنى ان الحزب يضم فى صفوفه التنظيمات الماركسية لا فى روسيا وحدها ، بل وفى كل الامبراطورية الروسية المتعددة القوميات ، وان العمال التقدميين من كل الأمم (القوميات) سوف يتكاتفون فى الحزب للنضال المشترك ضد القيصرية . وهذا يعنى كذلك أن رسالة الحزب ـ والذى كان

الشيوعيون الروس نواة له ــ هى قيادة النضال الثورى للبروليتاريا المتعددة القوميات بالبلاد عامة .

ما هو جوهر تعاليم فلاديمير لينين بشأن المسألة القومية وهى التعاليم التى تسلح بها شيوعيو روسيا وأثبتت الحياة صــحتها بعد ذلك ؟

لقد أعلن فلاديمير لبنين برنامجه انطلاقا من الحــل الثــورى للمسألة القوميـــة . ومن الطبيعى انه أبرز فى المقــدمة ضرورة

المساواة الكاملة بيں كل الامم ، بغض النظر عن تعدادها ومستوى تطورها ولونها ومعتقداتها الدينية وغير ذلك .

ولقد ابرز فلاديمير لينين فى بداية القرن العشرين فى أحدى أفكاره النظرية المبدأ الماركسى حول الاعتــراف بحــق كل الأمم ، الداخلة فى الدولة ، فى تقرير مصيرها ، وذاد عن هذا المبدأ فى النضال ضد القوميين المتطرفيين . ولقد وضـــح ذلك فيما بعد : فتقرير المصير يعنى المصير السياسى وليس فقط تقــرير المصير الثقافى ، فكل أمة لها الحق لا فى تقرير مصيرها فقط ، بل وفى الاستقلال وتكوين دولة مستقلة .

ويقول فلاديمير لينين : « نحن حزب البروليتاريا يجب أن نقف دائما ودون شك ضـــد أى محاولة للتأثير من الخــارج على تقرير المصير الشعبى عن طريق العنف أو اللاعدالة » .

أما فيما يتعلق بالاستقلال ، فقد قال لينين انه لا يعنى بالمرة ان حزب الشيوعيين سوف يؤيد دون شك رغبة كل قومية فى ذلك . فالشرط الحاسم هنا هو مصالح النضال الطبقى للبروليتاريا ، ومصالح الكفاح الظافر من أجل الثورة الاشتراكية أهناك مجال لانكار انه من خلال التجارب اليــومية ، تعرف الشــعوب ميزات الدولة الكبيرة ؟ وان هذه الشعوب لن ترغب فى الاســتقلال الا

عندما يجعل الظلم القومى والاحتكاكات القومية ، العيش المشترك في دولة واحدة أمرا لا يطاق احتماله ، وعندما تعطل كل العلاقات الاقتصادية . من المعروف ان الدولة المركزية الكبيرة تعتبر خطوة تاريخية هائلة الى الامام نحو الوحدة الاجتماعية المستقبلة .

وفى تعاليم لينين حول المسألة القـومية ، يحتل الموقف من اتجاهى المسألة القومية فى النظام الرأسمالى ، مكانا هاما .

الاتجاه الأول : **بعث الحياة والحركات القومية ، وشجب أى اضطهاد قومى ، وانشاء دول وطنية** . ان هذا الاتجاه تقدمى من حيث المبدأ ، اذ يساعد التكتل القـومى على التغلب على التفتت الاقطاعى ، ويعمل على تطور الرأسمالية ، الأمر الذى يعتبر خطوة تاريخية الى الأمام فى هذه الظروف . غير ان هذا الاتجاه ــ كما دلت الاحداث ــ يؤدى فى كثير من الأحيان ، فى ظل الراسمالية ، الى القومية المتطرفة ، والى تأكيد الاستثناء القومى ... الى آخره .

الاتجاه الثانى : **تطوير وزيادة العلاقات المختلفـة بين الامم ، وكسر الحواجز القومية ، وانشاء وحدة عالمية لرأس المال ، والحياة الاقتصاد عامة ، والسياسة والعلوم .. وهكذا ..** وهذا الاتجـاه يميز الفترة التى تنضج فيها الرأسمالية وتتحول الى امبريالية .

وهو تقدمى أيضا دون شك ، ولكنه فى كثير من الأحيان وفى ظروف الرأسمالية يكتسب شـكلا رجعيـا بالمرة ــ فيؤدى الى اخضـاع شعوب لأخرى بالقوة ، والى الحروب .

والنضال من أجـل الاستقلال القـومى فى عدد من الحـالات يؤدى هو الآخر الى القومية وخاصة عندما تدور الاحداث فى بلاد تتزعم فيها البرجوازية هذا النضال ، بينما لا توجد بروليتاريا ، أو توجد بغير تكاتف ، أو عدم وجود أحزاب بروليتارية ، وان وجدت فتتصف بالضعف .

ان الاصطدام بين هذين الاتجاهين الرئيسيين في المسألة القوميه ، يعكس استحالة حل المسألة القومية عموما في ظروف الراسمالية ويدل على الفشل الذريع لسياسة البورجوازية .

ان اهم مبادىء اللينينية فى المسألة القومية ـ هـو مبـدأ التضامن الاممى للشغيلة من جميع القوميات .

وتنبع ضرورة التضامن الأممى للعمال من المهـام الموضـوعية لنضال البروليتاريا . ان سيطرة رأس المال لها شكل دولى ، وهذا يعنى ان النضال ضد رأس المال لا يمكن أن يكون ناجحا الا بالعمل المشترك لعمال كل البلدان . وأن أهداف البروليتاريا ومصالحهـا فى كل الـدول ، التى تسيطر عليهـا النظم المستغلة ـ اهـداف واحدة ، وهى الأهداف والمصالح التى يمليها الوضع الاقتصادى والسياسى المماثل لدى البروليتاريا عامة . وهذا ما جعل فلاديمير لينين يقول ان رفيق العامل الروسى فى النضال ضد المستغلين هو العامل الفرنسى ، والعامل الالمانى ، وشغيلة بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

والطبقة العاملة ، بكونها المناضـل الذى لا يحيد من اجـل الديمقراطيـة ، تعتبر أصلب عدو للاضطهاد القومى . فالديمقراطية الحقة وعلى رأسها الطبقة العاملة ترفع لواء المسـاواة بين كل الأمم فى نضالها الطبقى .

ولقد قال لينين أن الطبقة العاملة وحدها هى زعيمة وقائدة الحركات الديمقراطية الحقة ، وان الشـعوب المضـطهدة فى المستعمرات وفى البـلاد التابعة يجب أن ترى فى الطبقة العاملة بالذات قائدها ، وان انتصار الاشتراكية فى كل العالم يحتاج الى عصر تاريخى كامل يجمع بين نضال بروليتاريا البلاد المتقدمة ، ونضال الشعوب المضطهدة فى سبيل التحرر الوطنى .

وكتب لينين ـ عبر أن الطليعة وحدها ، لا يمكنها الانتصار دون مساعدة جماهير الشغيلة لكل الشعوب المستعمرة المضطهدة .

كما قال لينين ـ بعد انتصار الثورة الاشتراكية فى امبراطورية روسيا ـ يجب أن يتم اتحاد الشعوب المضطهدة المتخلفة بالتفافها حول بلاد السوفييت ، والتى تعتبر دولة تبنى الاشتراكية ، ذلك كما تشترك معها فى النضال ضد الامبريالية العالمية .

من المفهوم ان أهم شروط التضامن الأممى للعمال والفلاحين من كل القوميات كان فى تلك المرحلة هو النضال ضد شوفينية الدولة الكبرى وضد القومية البرجوازية فى صفوف حركة العمال وداخل حزب شيوعيى روسيا ذاته .

ولقد دمغ لينين شوفينية الدولة الكبرى بالخيانة للمبادىء الشيوعية ، والتبعية للمستغلين الذين أزيحوا ولكن لم يقض عليهم بعد ، وبتخريب وهدم ثقة شغيلة المناطق القومية بالشعب الروسى .

وكانت القومية البرجوازية المحلية تعكس رغبة الطبقات الفانية فى الامم المضطهدة من قبل ، فى الانفراد بدولتها القومية ثم فرض سيطرتها الطبقية الاحتكارية عليها . وكانت القومية البرجوازية تتغافل عن الصراع الطبقى ، واحلت محله الصراع من أجل المصالح القومية ، الامر الذى كان يعنى فى الحقيقة الدفاع عن مصالح البرجوازية القومية .

ولقد كان لينين يفرق دائما بين الذين يعبرون عن مصالح البروجوازية . ولقد كتب لينين أن القومية البرجوازية والأممية البرولبتارية تعتبران ايديولوجيتين متعاديتين لا هوادة بينهما .

ومن بين المبادىء والمتطلبات الأخرى فى البرنامج القومى الذى قدمه لينين ووافق عليه الحزب ما يلى : منع كل الامتيازات

أو القيود القومية ، وعدم ضرورة وجـــود لغة واحـــدة للدولة ، والمساواة الكاملة بين كل اللغات عند انشاء مدارس تجرى فيها الدراسة بكل اللغات المحلية ، والاعتراف بوجود عناصر من الثقافة الديمقراطية والاشـتراكية فى الثقافة القومية لكل أمة تقف على طريق التطور الرأسمالى .

ولقد نادى الحزب قبل ان تنتصر الثورة الاشتراكية ــ وهو متفهم كلية لتعاليم لينين حول مســائل تنظيم الدولة ــ نادى مؤيدا الحكم الذاتى للاقاليم ، والحكم الذاتى الديمقراطى المحلى ، ثم تراه بعد انتصار ثورة اكتوبر ــ ينادى بالمبدأ الفيدرالى لاتحاد الشعوب .

ثورة اكتــوبر

أن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية المجيدة ـ والتى تعتبر حدثا ذا معنى تاريخى وعالمى ـ قد فتح عهد سقوط الامبريالية وتأكيد الشيوعية .

وثورة أكتوبر ، البروليتارية المضمون ، كانت ثورة شــعبية عميقة فى الوقت نفسه .

ولقد خلق انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية المجيدة الظروف والمقدمات الضرورية لتجسيد برنامج لينين وسياسة الحزب الشيوعى فى مجال العلاقات القومية .

ولقد جابه شــيوعيو روسيا قبيل ثورة أكتوبر مهمة هائلة الصــعوبة ـ وهى اقامة عــلاقات جــديدة بين الامم فى البــلاد الضخمة . وكان تعقد المشكلة يكمن فى ان الرأسمالية كانت قد وصلت بعدم الثقة والتنابذ القومى الى أبعد حد وذلك بتعقيدها العلاقات بين القوميات بصورة خرافية .

وأعطت ثورة أكتــوبر الاشتراكية المجيــدة عام ١٩١٧ كل السلطة للشعب العامل . وفى المؤتمر الثانى للسوفييتات الذى عقد فى تلك الأيام المشهودة تم اعلان ان روسيــا قد أصبحــت جمهورية سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ».

وشرع الحزب الشيوعى بعد وصوله للحكم فى تنفيذ برنامجه القومى ، وفى العمل على تكتيل جماهير الشغيلة متعددة القوميات تحت لواء الثورة .

وفى اليوم الأول من السلطة السوفييتية فى الخامس والعشرين من اكتوبر (٧ نوفمبر) عام ١٩١٧ أعلن المؤتمر الثانى لسوفييتات عموم روسيا فى نـداائه « للعمال والجنـود والفلاحين ! » - ان السلطة السوفييتية « تضمن لكل الامم ، التى تسكن روسيا ، حقها الصميم فى تقرير المصير » .

وكان « اعـلان حقوق شعوب روسيا » احـد أهم الوثائق الأولى للسلطة السوفييتية بجانب مرسوم السلام ، ومرســوم الأرض . ولقد نص « اعلان الحقوق » على القضاء على السياسة القديمة للاستغلال البشع وتأليب الشعوب بعضها على بعض ، واحلال سياسة « الاتحاد التطوعى النزيه بين شعوب روسيا » محلها .

ولقد جاء فى « اعلان حقوق شعوب روسيا » :

١ - المساواة والسيادة لشعوب روسيا .

٢ - حق شعوب روســيا فى تقرير المصـير الحر حتى لو اقتضى الانفصال واقامة دولة مستقلة .

٣ - الغاء كل وأى امتيازات أو قيود قومية كانت أو قومية دينية .

٤ - التطور الحر للاقليات والسلالات القومية التى تسكن أراضى روسيا .

وهـكذا وضـع حـد لسياسة عـدم الثقة القومية والكذب والاستفزازات

وتم انشاء مفوضية شعبية لشئون القوميات داخل اطار مجلس مفوضى الشعب (الحكومة السوفييتية) وذلك للادارة العملية للسياسة القومية .

ولقد ترددت مبادىء وافكار « اعلان الحقوق » فى الوثائق الأخرى للسلطة السوفييتية بشأن المسألة القومية . فى نداء « الى كل الشغيلة المسلمين فى روسيا والشرق » وفى « المانيفستو الموجه للشعب الأوكراينى مع الانذار النهائى (للرادا) الاوكراينية » وغيرهما من وثائق .

ولقد جاء فى نداء مجلس مفوضى الشعب « الى كل الشغيلة المسلمين فى روسيا والشرق » ، والذى أعلن فى العشرين من نوفمبر (الثالث من ديسمبر) وصدر باللغات القومية : « أن دولة النهب والعنف الرأسمالى تتصدع وتتزلزل الأرض تحت أقدام وحوش الامبريالية . ونتوجه اليكم فى خضم هذه الأحداث العظمى ... اليكم مسلمي روسيا والشرق الكادحين المحرومين ...

أن عقيدتكم وتقاليدكم ومؤسساتكم الثقافية تعتبر منذ الآن حرة وذات حصانة . ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عقبات ، فان لكم الحق فى ذلك . واعلموا أن حقوقكم مثل حقوق كل شعوب روسيا ، تحميها قوة الثورة كلها وهيئاتها ــ سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين » .

ولقد تم الاعلان فى النداء نفسه عن أن كل المعاهدات السرية الخاصة بتقسيم فارس وتركيا فى حالة انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ، والتى عقدها القيصر وأيدتها الحكومة الروسية البرجوازية المؤقتة ــ قد الغيت كلها .

ولقد اصدر مجلس مفوضى الشعب (مجلس الوزراء) لروسيا السوفييتية فى التاسع من ديسمبر ١٩١٧ قرارا بتسليم « مصحف

عثمان بن عفان » لمؤتمر المسلمين الاقليمي ، اذ كان هذا المصحف الشريف محفوظا قبل ذلك في المكتبة العامة للدولة في بيتروجراد . أما الآن فهو محفوظ في المتحف التاريخي في طشقند .

وفي يناير ١٩١٨ أقر المؤتمر الثالث لسوفييتات عموم روسيا « اعلان حقوق الشعب العامل المستغل » والذي جاء فيه أن « جمهورية روسيا السوفييتية تقوم على أساس الاتحاد الحر للقوميات الحرة كاتحاد فيدرالي للجمهوريات القومية السوفييتية » .

ولقد منح المؤتمر العمال والفلاحين حق اتخاذ قرار في مؤتمراتهم المفوضة : حول مسألة هل يرغبون في الاشتراك في حكومة اتحادية وفي المؤسسات السوفييتية الاتحادية وما هي الشروط في ذلك . ولقد قال فلاديمير لينين في اختتام المؤتمر : « اننا نحكم ، لا نفرق طبقا للقوانين القاسية لروما القديمة ، بل نربط بين الشغيلة بروابط متينة من المصالح الحيوية والوعي الطبقي . ان اتحادنا ، دولتنا الجديدة - أقوى من سلطات العنف ، التي توحد اصطناعيا بالكذب والحديد النار ... بين الدول في تكتلات يحتاج اليها الامبرياليون » .

وبعد صدور « اعلان حقوق شعوب روسيا » مباشرة اعربت فنلندا عن رغبتها في الاستفادة من حق تقرير المصير الممنوح لها فطالبت بالانفصال عن الجمهورية السوفييتية الفتية . وتم ذلك بالفعل في ديسمبر عام ١٩١٧ ولقد وافقت الحكومة السوفييتية دون تردد على حق الشعب البولندي في تقرير مصيره بالانفصال .

وفي منتصف عام ١٩١٨ انفصلت عن روسيا السوفييتية توفا - وهي بلاد جبلية صغيرة تقع على الحدود مع الصين ومنغوليا .

وبدات في كل مكان باراضي روسيا القيصرية السابقة عملية اقامة دول للشعوب غير الروسية . فكون شعبا أوكرانيا

وبيلوروسيا جمهوريتين قوميتين . واقامت شعوب ما وراء القوقاز اتحاد ما وراء القوقاز .

ودخل ضمن الاتحاد الفيدرالى عـدد من الأقاليم والمنـاطق القـومية بالبـلاد ـ ومن بينهـا شعـوب آسـيا الوسطى - وفى يناير ١٩١٨ أعلن المؤتمر الثالث لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعموم روسيا ـ قيـام جمهورية روسيـا الاتحادية الاشتراكية السوفييتية .

ان اقرار المؤتمر الخامس لسوفييتات عموم روسيـا فى ١٠ يوليو ١٩١٨ ـ دستور جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية ، الذى تم اعداده باشراف فلاديمير لينين ، كان مرحلة جديدة فى بناء الدولة والبناء القومى . فلقـد وطد الدستور تشرعيا حرية وتساوى الامم ، كما أكد على عدم السمـاح بأية امتيـازات أو ميزات للمواطنين على أساس انتمائهم العضوى أو القومى ، وحظر اى مظهر من مظاهر اضطهاد الاقليات القومية .

وهكذا فبعد ثورة اكتوبر الاشتراكية المجيدة تم اعلان وتطبيق حق الشعوب فى تقرير مصيرها وفى المساواة القومية والحرية وذلك لأول مرة فى التاريخ العالمى .

اتحـــاد اختيـــارى

فى ديسمبر عام ١٩٢٢ شـــهدت حياة الشعوب السوفييتية حـــدثا بارزا ـ هـــو قيـــام اتحـــاد الجمهـــوريات الاشـــتراكية السوفييتية .

ولقد أملت الحياة نفسها ضرورة اقامة مثـــل هذا الاتحاد ، اذ كان لدى كل الجمهوريات السوفييتية نظام اجتماعى واحد يكتل الشعوب ... وهدف مشترك ـ هو بناء الاشتراكية .

ولقد ظهر تطلع الجمهوريات السوفييتية فى الاتحاد منذ الأيام الأولى لوجودها .

ولقـــد أقامت أولى الجمهوريات الاشـــتراكية السوفييتية : أوكرانيا وبيلوروسيا وروسيا الاتحادية وجمهورية ماوراء القوقاز ـ اتحادا عسكريا وسياسيا متينا قبل ذلك فى سنوات التـــدخل الأجنبى والحرب الأهلية . ولقد اشار لينين فى « مشروع توجيهات اللجنة المركزية بشأن الوحدة العسكرية » للجمهوريات السوفييتية الشقيقة عام ١٩١٩ ـ الى أن القيادة الواحدة لكل فصائل الجيش الأحمر ، والمركزية الصـــارمة فى اســـتخدام كل قـــوى وموارد الجمهوريات الاشتراكية ـ هما شرط ضرورى لنجـــاح النضـــال الدفاعى ضد العدو المشترك ـ الامبريالية العالمية والثورة المضادة

الداخلية التى تؤيدها الامبريالية . وفى أول يونيـو عام ١٩١٩ اقرت اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا بالاشتراك مع ممثلى الجمهوريات الاشتراكية الأخرى ، « مرسوم وحدة الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية : روسيا ، أوكرانيا ، لاتفيا ، ليتوانيا ، وبيلوروسيا للنضال ضد الامبريالية العالمية » .

واصبح الاتحاد العسكرى للجمهوريات اساسا لتدعيم العلاقات الأخوية بين الشعوب وأدى الى انتصار السلطة السوفييتية ابان الحرب الأهلية . ولم يقتصر هذا التحالف على توحيـد الجهود العسـكرية وحـدها بل طالب بتعبئة كل القـوى الاقتصـادية للشعوب .

وبانتهاء الحرب الأهلية والتدخل الأجنبى أخذت الجمهوريات تتوسع فى تدعيم العلاقات الاقتصادية ، وتتعاون اقتصاديا فيما بينها .

وفى عـام ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ تكون الاتحـاد الـديبلوماسى للجمهوريات السوفييتية .

كانت الجمهوريات السوفييتية تقوم بعملية البناء الاشتراكى فى ظروف الحصار الرأسمالى الأمر الذى كان يحمـل بين طياته تهديدا متواصلا بالهجوم العسكرى ، والحصار الاقتصادى والعزلة الديبلوماسية . وبالتالى ظهرت بعد انتهاء الحرب الأهلية الحاجة الماسة لتوحيد الجهود العسكرية للجمهوريات السوفييتية عـلى اساس جديد ، واقامة جيش وأسطول واحد .

ان اتحاد الجمهوريات السوفييتية فى دولة اتحادية واحدة أمر ليس ضروريا فقط ، بل وممكن من الناحية الموضوعية : فكان لدى كل الجمهـوريات السوفييتية هـدف مشترك ــ هو بنـاء الاشتراكية والشيوعية ، وتكون لديها جميعا نظام سياسى واحد ــ دكتاتورية البروليتاريا فى شكل السلطة السوفييتية ، الأممية

الى أبعد الحـدود من حيث طبيعتها ؛ وكان فى كل الجمهوريات هيكل اجتماعى واقتصادى واحد ـ الملكية العامة لأهم وسـائل الانتاج ؛ والنمط الاشتراكى فى الاقتصاد .

ولقد تم فى عامى ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ تحقيق نجاحات كبيرة فى مجال بناء الدولة والبناء القومى . وفى ابريل عام ١٩٢١ انتهت اللجنة التنفيـذية المركزية لعموم روسـيا فى جمهـورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السـوفييتية من صـياغة تكوين جمهورية تركستان الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى والتى كانت قد ظهرت فى أبريل ١٩١٨ . وانشئت آنذاك كذلك جمهورية ياقوتيا الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى فى سيبيريا الشرقية . وظهرت الأقاليم الأولى ذات الحكـم الـذاتى . اقليم كومى ـ زيريانسك فى شمال الجـزء الأوربى من روسيا ، واقليم أويروتسك فى التاى ، واقليم بورياتـ منغوليا فى منطقة بحيرة بايكال .

وبعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية المجيدة أقيم فى منطقة وسط نهر الفولجا جمهورية تاتاريا الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى . وقبيل نهاية ١٩٢٢ ـ وبداية ١٩٢٣ كانت جمهورية روسيا الاتحادية تضم ١٠ جمهوريات ذات حكم ذاتى و ١١ اقليما ذاتى الحكم . ولقد ظهرت جمهوريات واقاليم ذات حكم ذاتى فى الجمهـوريات الأخـرى كذلك : فظهرت فى جمهـورية جورجيا الاشتراكية السوفييتية عام ١٩٢١ جمهوريتا الابخا ، والادجار على ساحل البحر الأسـود . وفى عـام ١٩٢١ كذلك ظهر اقليم ناخيتشيفانسك ذو الحـكم الذاتى ضـمن جمهـورية اذربيجان الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى .

وهكذا فان حركة تطور العـلاقات السياسية والاقتصـادية والدبلوماسية والثقافية بين الجمهوريات السوفييتية ـ قادتها الى اتحاد أكثر ترابطا .

وفى عام ١٩٢٢ تم تشـكيل لجنة من ممثلى اللجنة المركزية للحـزب الشـيوعى لعموم روسـيا واللجان المركزية للاحـزاب الشيوعية فى الجمهوريات السوفييتية وذلك لبحث مسألة مواصلة العلاقات المتبادلة بين الجمهوريات السوفيتية المستقلة .

واجهت الانسانية لأول مرة مشـكلة اقامة دولة اشـتراكية متعـدده القوميات وكان من الطبيعى أن يحتدم النقاش فى ذلك الوقت فى هذه اللجنة وفى اجتماعات ولقاءات الشغيلة ، وتنظيمات الحزب الشيوعى وفى الحكومة ، حول الاسس التى يجب أن تتحـد انطلاقا منها الشعوب .

وطرحت آراء كثيرة . واقترح فلاديمير لينين مؤسس أول دولة اشتراكية فى العالم ، اقامة دولة اتحادية جـديدة ـ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، كاتحاد اختيارى بين الدول المتساوية الحقـوق ذات السيادة مع احتفـاظ كل جمهورية ـ حسب رأى لينين ـ بحقهـا الـكامل فى الانسـحاب من اتحـاد الجمهوريات الاشتراكية السـوفييتية .

وأيدت كل شعوب بلاد السوفييت اقتراح فلاديمير لينين ، مما أدى الى الاعلان الرسمى عن قيام الاتحاد السـوفييتى فى ٣٠ ديسمبر ١٩٢٢ فى المؤتمر الأول لسوفييتات عموم الاتحاد ، والذى اشترك فيه ممثلو كل شعوب البلاد . وكان اتحاد الجمهـوريات الاشـتراكية السـوفييتية يضـم فى بادىء الأمر جمهـوريتين اتحاديتين : جمهورية روسيا وجمهورية ما وراء القوقاز (اذربيجان وارمينيا وجورجيا) وكذلك اوكرانيا وبيلوروسيا . وانضمت الى الاتحاد السـوفييتى فيما بعـد كل من أوزبكسـتـان وتركمـانيا وتاجيكستان وقيرجزيان وكازاخستان كجمهوريات اتحادية . ويضم الاتحاد السـوفييتى الآن ١٥ جمهورية اتحادية هى الجمهـوريات الاشتراكية السوفييتية التالية : روسيا الاتحادية ، واوكرانيا ،

وبيلوروسيا ، وأوزبكستان ، وكازاخستان ، وجروزيا ، وأذربيجان ، ولتوانيا ، ومولدافيا ، ولاتفيا ، وقيرجيزيا ، وتاجكستان ، وارمينيا ، وتركمانيا ، واستونيا .

واقر المؤتمر الثانى لسوفييتات الاتحاد السوفييتى فى يناير ١٩٢٤ دستور الاتحاد السوفييتى .

وكان لتكوين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية أهمية تاريخية وعالمية . فلقد فتح آفاقا بعيدة للتطور الشامل لكل الشعوب التى اتحدت فى دولة اتحادية ، ولتشكيل وازدهار الامم الاشتراكية . واصبح الاتحاد السوفييتى منارة تنادي وتوقظ كل الشعوب للنضال ضد الاستغلال والظلم . ولأول مرة فى تاريخ الانسانية تم اثبات امكانية اقامة ووجود دولة كبيرة متعددة القوميات على أساس المساواة فى الحقوق والصداقة بين الشعوب الداخلة فيها . وبهذا انزلت ضربات قوية بعالم الامبريالية وسياستها القائمة على الاضطهاد القومي والاستعمارى .

وفى عام ١٩٣٦ تم فى الاتحاد السوفييتى اقرار دستور جديد حدد بوضوح العلاقات المتبادلة لشعوب الدولة الاشتراكية السوفييتية المتعددة القوميات .

ان تجربة البناء القومى السوفييتى خلال ما يقارب العشرين عاما قد أملت ضرورة أعتبار الخواص والمصالح القومية لا للقوميات الكبيرة فقط ، بل وللصغيرة نسبيا كذلك ، وهى القوميات التى كانت تسعى فى ظل النظام الاشتراكى لاقامة نظام دولة اشتراكية ذات حكم ذاتى .

وينحصر المعنى الاساسى للسياسة القومية السوفييتية ، فى منح كل الشعوب دون استثناء ــ الكبيرة منها والصغيرة ــ حقوقا متساوية واكبر قدر من الامكانيات . ولذلك ، فأعتبارا لوجود

مجموعات قومية غير كبيرة نسبيا ، ولكن تربط بينهـــا وحـــدة الأرض داخل اطار الجمهوريات الاتحادية ـ تقرر اقامة عدد من التشكيلات الصـــغيرة لها طابع الـــدولة ـ وهى الجمهـــوريات الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى ، والاقاليم ذات الحكم الذاتى والدوائر القومية .

ويوجـد فى الاتحاد الســوفييتى فى الوقت الحاضر ٥٣ من مختلف التشكيلات القومية ذات الحكم الذاتى (بين جمهـورية واقليم ودائرة) .

وتدخل كل جمهوريات الحكم الذاتى ، ضمن هذه أو تلك من الجمهوريات الاتحادية . وهى تتمتع بالحكم الذاتى السياسى ولها دستورها الذى يقره البرلمان المحلى (مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى) ومواطنو الجمهورية الذاتية الحكم مثلهم مثل كل مواطنى اية جمهـــورية اتحادية ـ هم مواطنو الاتحاد السوفييتى فى نفس الوقت .

ولمجالس السوفييت العليا ومجالس الوزراء فى جمهوريات الحكم الذاتى حقوق واسعة فى ادارة الاقتصاد المحلى والحيـــاة الثقافية للسكان .

ولقد وضعت نفس هذه المبادىء فى اساس تقسيم الأقاليم الذاتية الحكم والدوائر القومية ، الا انها تتمتع بالادارة الذاتيـــة فقط ، فهى تدخـــل ضـــمن الجمهـــوريات الاتحادية وتتبعها من الناحية السياسية .

ان الاساس القومى للدولة السوفييتية ـ الاتحاد الأخـوى للامم والقوميات المتساوية فى الحقوق قد اجتاز تجارب الزمن ، فمرت قوة الاتحـــاد الاختيارى للشعوب فى اسرة واحـــدة بتجربة قاسية ابان سنوات الحرب العالمية الثانية . وهـــذه التجربة لم

تهدم أو تضعف الاتحاد كما كان يعتقد اعداء الاشتراكية ، بل زادته قوة ودعمت تعاون شعوب بلاد السوفييت .

وتقسم الجمهوريات الاتحادية الكبيرة المساحة الى نواح واقاليم ، التى تقسم بدورها الى مناطق وذلك لتسهيل عملية الادارة وتحسين الخدمات للشغيلة . وعلى راس هذه الوحدات الادارية ، توجد هيئات السلطة المحلية وهى سوفييتات نواب الشغيلة ، المنتخبة من قبل كل السكان . وتترأس هيئات الادارة الذاتية المماثلة كل من آلاف المناطق السكنية بالبلاد ـ المدن والبلدات العمالية والقرى .

ولقد اكد دستور الاتحاد السوفييتى ، الذى اقر عام ١٩٣٦ ، ان كل الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الاتحادية الداخلة فى الاتحاد السوفييتى ـ دول ذات سيادة ، فلكل منها دستورها المنبثق عن خواصها الذاتية . وللجمهوريات الحق فى الانسحاب من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ولا يمكن تغيير حدود اية جمهورية دون موافقتها . وللجمهوريات الحق فى أقامة علاقات مباشرة مع الدول الاجنبية ، وعقد الاتفاقيات معها وفى التبادل الدبلوماسى والقنصلى ، وفى تشكيل قواتها العسكرية الجمهورية .

والهيئة العليا لسلطة الدولة فى الجمهورية الاتحادية الاشتراكية السوفييتية تتمثل فى مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية والمنتخب لمدة اربع سنوات من قبل كل مواطنى الجمهورية البالغين لسن الثامنة عشرة . وتجرى انتخابات النواب على أساس حق الانتخاب العام المتساوى المباشر مع سرية الاقتراع .

ومجلس السوفييت الأعلى هو الهيئة التشريعية الوحيدة بالجمهورية ، فهو الذى يوافق على دستور الجمهورية ويدخل

التعديلات عليه ، ويقر الخطة الاقتصادية وميزانية الجمهورية ، ويتمنـــع بحق العفو الشامل أو تخفيـف العقوبة على المواطنين المحكوم عليهم من قبل الهيئات القضائية بالجمهورية ، ويحـدد تمثيل الجمهورية على مستوى العلاقات الدولية ، ويحدد نظام تشكيل القوات العسكرية الجمهورية .

وينتحب مجلس السوفييت الأعلى بالجمهورية من بين أعضائه هيئة رئاســة مجلس السوفييت الأعلى بالجمهـورية بالتشــكيل التالي : رئيس هيئة الرئاسة ونوابه وســكرتير وأعضاء هيئــة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى ، وذلك للاشراف وادارة الأعمال اليومية لمجلس السوفييت الأعلى .

وهيئــة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى مســئولة فى كل نشــاطها امام مجلس الســوفييت الأعلى بالجمهــورية ، وتقوم بوظائفه في الفتره ما بين دوراته • ويحــدد دستور الجمهـــورية صلاحيات هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى .

وينتخب مجلس السوفييت الأعلى رئيسا له ونوابا للرئيس وذلك لادارة جلساته (اثناء الدورات) .

ويشــكل مجلس الســوفييت الأعلى بالجمهــورية حــكومة الجمهورية ـ مجلس الوزراء بالجمهورية ، الذى يعتبر أعلى هيئة تنفيذية وادارة لسلطة الدولة فى أراضى الجمهورية .

ومجلس الوزراء مســئول أمام مجــلس الســوفييت الأعلى للجمهورية ، أما فى الفترة ما بين دورات مجلس السوفييت الأعلى فيصبح مسئولا امام رئاسة مجلس السوفييت الأعلى .

ويتكون مجلس الوزراء بالجمهورية من : رئيس مجلس وزراء ، ونواب للرئيس والوزراء ورؤساء لجان الدولة ومديرى المصـــالح الأخرى التابعة لمجلس الوزراء .

ويصدر مجلس الوزراء القرارات والاوامر طبقا وتنفيذا للقوانين السارية فى الاتحاد السوفييتى والجمهورية ، وقرارات وأوامر مجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ، ويتابع تنفيذها . كما يوحد ويوجه عمل كل الوزارات والمصالح بالجمهورية ، ويعد الخطة الاقتصادية وميزانية الجمهورية ويشرف على عمل مجالس السوفييت العليا للجمهوريات ذات الحكم الذاتى (ان وجدت فى الجمهورية الاتحادية) ، وكذلك يشرف على عمل السوفييتات المحلية نواب الشغيلة .

والقضاء فى الجمهورية الاتحادية موكول للمحكمة العليا والمحاكم الشعبية .

ينتخب مجلس السوفييت الأعلى بالجمهورية المحكمة العليا لمدة خمس سنوات . وينتخب قضاة المحاكم الشعبية فى المناطق (أو المدن) لمدة خمس سنوات بواسطة مواطنى المنطقة (أو المدينة) عن طريق الانتخاب العام المباشر بالاقتراع السرى .

وينتخب أعضاء المحاكم الشعبية فى المناطق (أو المدن) لمدة خمس سنوات بواسطة مواطنى المنطقة (أو المدينة) عن طريق الانتخاب العام المباشر بالاقتراع السرى . وتجرى انتخابات أعضاء المحاكم الشعبية فى المناطق (أو المدن) أثناء الاجتماعات العامة للعمال والموظفين والفلاحين فى مكان عملهم أو اقامتهم ، وبالنسبة للعاملين فى الجيش فتجرى الانتخابات فى الوحدات العسكرية مرة كل سنتين .

القضاء مستقل ولا يخضع لغير القانون

ويضمن دستور الجمهورية السوفيتية الاتحادية لكل مواطني الجمهورية الحق في العمل والتعليم والراحة وحرية الصحافة والاجتماعات والمواكب .

وتمنح دساتير الجمهوريات الاتحادية المرأة حقوق المساواة مع الرجل في كل مجالات الحياة الاقتصادية والحكومية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

ولكل جمهورية اتحادية من جمهوريات الاتحاد السوفييتي علمها الخاص وشعارها ونشيدها .

واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ـ دولة اتحادية . ولذلك فان الجمهوريات الاتحادية قد نقلت بمحض اختيارها عددا من المسائل المتعلقة بالتطور الشامل للبلاد والمصالح المشتركة لكل الأمم والقوميات التي شملها الاتحاد السوفييتي ـ الى اختصاصات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية (تمثيل الاتحاد السوفييتي في المجال الدولي ، ومسائل الحرب والسلم والتجارة الخارجية وغير ذلك) .

ويحافظ دستور الاتحاد السوفييتي بكل الوسائل على حقوق الشعوب التي تعيش في أطراف الاتحاد .

وتتمثل السلطة العليا في الاتحاد السوفييتي في مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي والذى ينقسم الى مجلسين : مجلس الاتحاد ومجلس القوميات . ويجرى انتخابهما لمدة أربع سنوات . ويمكن انتخاب أى مواطن من مواطني الاتحاد السوفييتي لعضوية مجلس السوفييت الأعلى بشرط أن يكون قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره .

ويمثل مجلس الاتحاد المصالح المشتركة لكل المواطنين ، ومجلس القوميات يمثل مصالح المواطنين المتعلقة بخواصهم القومية . وكل جمهورية اتحادية بغض النظر عن تعداد سكانها ـ سواء كانت روسيا ، وتعدادها أكثر من ١٣٠ مليونا ، أو تركمانيا والتي يقل تعدادها مائة مرة تقريبا ، ترسل الى مجلس القوميات عددا مماثلا من الممثلين ـ ٣٢ نائبا ، ويمثل اية جمهورية ذاتية الحكم ١١ نائبا ، واى اقليم ذاتى الحكم ـ ٥ نواب ، واية دائرة قومية ـ نائب واحد .

ومجلسا مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي كلاهما متساويان فى الحقوق تماما . ولا يعتبر اى قانون مصادقا عليه الا اذا وافق عليه كل من مجلسى الاتحاد والقوميات .

واصبحت نجاحات الجمهوريات السوفييتية الداخلة فى اتحاد الأمم الاشتراكية منارا مضيئا للشعوب المجاورة ، التى كانت بعيدة لبعض الأسباب عن التعاون التقليدى .

وعندما هجمت المانيا الفاشية على بولندا عام ١٩٣٩ وأدى ذلك الى سقوط الدولة البرجوازية الاقطاعية بسرعة ، طلبت شعوب أوكرانيا الغربية وبيلوروسيا الغربية ـ وهى الشعوب التى فصلتها مكائد دول الائتلاف عن اشقائها ـ طلبت من حكومة الاتحاد السوفييتى قبولها ضمن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية بحيث تنضم بطبيعة الحال الى جمهوريتى أوكرانيا وبيلوروسيا السوفييتيتين . ولقد لبت حكومة الاتحاد السوفييتى هذا الطلب .

ونتيجة للصدام المسلح بين الطغمة العسكرية الفاشية الفنلندية والاتحاد السوفييتى ، وما اعقب ذلك من هزيمة فنلندا تماما فى مارس عام ١٩٤٠ ، تم تكوين جمهورية كاريليا الفنلندية الاشتراكية

السوفييتية وذلك من جمهورية كاريليا الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتي ومن الاجزاء التي انتقلت الى الاتحاد السوفييتي من فنلندا (في عام ١٩٥٦ وافق مجلس السوفييت الأعلى بالاتحاد السوفييتي على تحويل جمهورية كاريليا الفنلندية الاشتراكية السوفييتية الى جمهورية كاريليا الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتي ضمن اطار جمهورية روسيا الاتحادية وذلك تلبية لطلب شغيلة هذه الجمهورية) .

وفي عام ١٩٤٠ شهدت حياة الاتحاد السوفييتي حدثا هاما آخر . فقد انضمت اليه جمهوريات بحر البلطيق الثلاث .

مع بداية الحرب العالمية الثانية نشطت موجة ثورية تحررية هائلة في هذه البلدان الصغيرة في مواجهة التهديد المباشر من جانب الفاشية الالمانية والرجعية المحلية . وطالبت شعوب هذه البلدان بعدم الابطاء في اعادة السلطة السوفييتية ، التي كانت البرجوازية المحلية قد خنقتها بمساعدة الغزاة الاجانب عام ١٩١٩ .

وفي صيف ١٩٤٠ تمت اعادة السلطة السوفييتية في جمهوريات بحر البلطيق . وطلبت السيمات الشعبية (وهي هيئات سلطة الدولة) في لتوانيا ولاتفيا وكذلك الدوما الحكومية في أستونيا - من مجلس السوفييت الأعلى بالاتحاد السوفييتي قبول شعوبها كجمهوريات اتحادية ضمن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وتمت تلبية هذا الطلب في أغسطس عام ١٩٤٠ .

ان قيام الجمهوريات السوفييتية في منطقة بحر البلطيق وانضمامها الاختياري الى الاتحاد السوفييتي - قد حقق لها نهضة اقتصادية وثقافية سريعة ، وانزل في نفس الوقت ضربة قاصمة بالنوايا العدوانية لالمانيا الفاشية .

وفى سنوات الحرب الأهلية انتهزت رومانيا الملكية فرصة ** انشغال الجمهورية السوفييتية الفتية محاصرة بحلقة من قوى الثورة المضادة وقوى الغزو ، وانتزعت من بلاد السوفييت المنطقة المسماة بيسارابيا الواقعة ما بين نهرى البروت والدنستر (النهران يصبان فى البحر الأسود) .

وفى عام ١٩٤٠ أعيد الحق . فنتيجة للتصرفات الحاسمة من جانب الاتحاد السوفييتى اجبرت رومانيا الاقطاعية على اعادة أراضيه الشرعية ـ منطقة بيسارابيا ـ وكذلك اعطائه الجزء الشمالى لبلد بوكافينا الجبلى والذى يسكنه الاوكرانيون . وفى عام ١٩٤٠ تم اقرار قانون ضم بيسارابيا المولدافية السكان وجمهورية مولدافيا ذات الحكم الذاتى وانشاء جمهورية مولدافيا الاشتراكية السوفييتية وذلك تلبية لرغبة شغيلة بيسارابيا وجمهورية مولدافيا ذات الحكم الذاتى ، والتى كانت تتبع جمهورية أوكرانيا السوفييتية .

أما الجزء الشمالى من بوكافينا وكذلك مقاطعات خوتينسكى ، واكرمانسكى وايزمايلسكى من بيسارابيا فقد ضمت الى جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفييتية .

واتسعت الحدود الشرقية للاتحاد السوفييتى أثناء الحرب العالمية الثانية . فلقد طلب شعب توفا ـ وهو اقليم جبلى صغير على حدود الاتحاد السوفييتى والصين ومنغوليا ـ من مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتى الانضمام الى الاتحاد . وفى اكتوبر عام ١٩٤٤ زادت على جمهورية روسيا الاتحادية جمهورية أخرى ذات حكم ذاتى ـ هى جمهورية توفينسكيا .

أسرة يســودها الوفاق

كانت المناطق القومية فى روسيا قبل الثورة ـ عموما ـ مناطق زراعية ، فضلا عن أن الزراعة كانت فى مستوى أولى بل بدائى .

ولم يكن من الممكن تصور التطور الناجح للمناطق القوميـة فى روسيا دون تحولات اجتماعية واقتصادية جذرية .

تخطي مرحلة الراســمالية

انطلق الحزب الشيوعى السوفييتى فى تقرير هذه المهمة من الامكانيات الموضوعية لبعض الشعوب الضعيفة التطور من الناحيتين الســياسية والاقتصادية ـ فى تخطى مرحلة الراسمالية فى تطورها والانتقال مباشرة من مرحلة الاقطاع الى الاشتراكية . وتنبع اهمية هذه المشكلة من ان ما لا يقل عن ثلث شعوب روســيا لم يمر بالراسمالية أو انتقل اليها مؤخرا . وفى نفس الوقت لم تكن هذه المشكلة من حيث الجوهر مشكلة اقتصادية وثقافية قط ، بل وسياسية كذلك ، يعتمد على مواصلة حلها نجاح دكتــاتورية البروليتاريا ومصير الثورة الاشتراكية عامة .

ودراسة الماركسيين للعملية التاريخية العالمية لتطور المجتمع الطبقى تشير الى ان التبدل المتوالى للاشكال الاجتماعية الاقتصادية كنظام العبــودية والاقطاع ـ يعتبر قانونا طبيعيا عاما فى تطور البشرية على أنه ليس حتميا فى كل البلدان . فعلى سبيل المثال تجاوز عدد من الشعوب نتيجة ظروف تاريخية مرحلة العبودية ومرحلة الاقطاع ، منتقلا الى الراسمالية مباشرة .

ولكن هل يمكن لهذا الشعب أو ذاك تخطى مرحلة الرأسمالية ، أى يحقق الانتقال مباشرة من علاقات ما قبل الراسمالية الى الاشتراكية ؟

نعم . يمكن .

ان فلاديمير لينين كان قد أعد نظرية انتقال البلاد والشعوب المتأخرة الى الاشتراكية بتخطى مرحلة التطور الراسمالى . فلقد اكتشف وهو يدرس عصر الامبريالية ـ قانون عدم تطابق التطور الاقتصادى والسياسى فى مختلف مناطق العالم وبرهن على حتمية انتصار الاشتراكية فى عدة بلدان أولا ، أو حتى فى بلاد واحدة فقط ، وعلى الامكانية الموضوعية لانتقال الشعوب المتخلفة الى الاشتراكية بطريقة خاصة .

ولقد برهن فلاديمير لينين على انه ليست هناك ضرورة لتطوير الراسمالية فى البلاد المتخلفة كى تقضى عليها بعد ذلك .

ان انتقال الشعوب المتخلفة الى الاشتراكية متخطية مرحلة الراسمالية هو قانون طبيعى موضوعى للتطور الاجتماعى فى عصر الانتقال الثورى من الراسمالية الى الاشتراكية ، وفى عصر الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطنية ، وفى عصر تفتت الامبريالية والقضاء على النظام الاستعمارى ، وفى عصر انتصار الاشتراكية والشيوعية على نطاق عالمى .

ولم يقف فلاديمير لينين فى مؤلفاته عند حد الحل النظرى للمشكلة . فلقد أشار الى الطرق والوسائل السياسية والاقتصادية لتحقيق هذه المهمة التاريخية العالمية ، ووجد الوسائل والطرق المرنة الفعالة لاندماج الشعوب التى كانت مضطهدة من قبل ، لبناء الاشتراكية .

ولقد وضع فلاديمير لينين أساس المبدأ القائل بان اقــامة علاقات سليمة بين الشعب الروسي وشعوب المناطق القوميــة المضطهدة لذو أهمية من الدرجة الأولى وبنفس مستوى الاجــراءات الاقتصــادية . وانطلق فى ذلك من انه قبل انتصــار الثــورة الاشتراكية كانت القيصرية والبرجوازية فى روسيا قد خلفت باضطهادها ظلام الشحناء وعدم الثقة فى الشعب الروسى عامة ، ولذا كان من الواجب ازالة عدم الثقة هذا بالأعمال لا بالكلمات .

ولقد قال فلاديمير لينين عند ذلك أنه يجب على الشيوعيين ايجاد طرق واشكال خاصة فى معاملة الجماهير القومية ، ومحاولة ضمها الى التيار العام للبناء الاشــتراكى ، والوصــول بها الى مستوى هذه المهام بطرق مفهومة ومقبولة بالنسبة لها . ولقد اشــار خاصــة الى وجوب الأخذ بالحســبان بعنــاية كل خواص تطور الشعب ، والسمات الخاصة فى حياته ودينه وعاداته ، ويجب العمل على تقبل أكثر الشغيلة تخلفا . المهام الاشتراكية كقضيتــه الحيوية .

ولقد حدد فلاديمير لينين المهام الرئيسية للبلاد التى أكدت لديه الاشــتراكية ، وهى المســاعدة النزيهة وغير المشروطة من بروليتاريا الأمم المضطهدة المساعدة السياسية والاقتصــادية والثقافية والتى تساهم بحزم فى التغلب على التخلف الذى استمر قرونا فى البلاد التى كانت مستعمرة .

ان التغلب على عدم المســاواة الحقيقية بين الشعوب المتخلفة ، واستكمال المساواة السياسية بالمساواة الاقتصادية ــ كانا يعنيان تحقيق برنامج ضخم لرفع المناطق القومية الى مستوى مركز البلاد . وكانت اهم حلقات هذه العملية هى : اقامة الصــناعات ، وتشكيل كوادر بروليتارية قومية ، واعادة تنظيم الزراعة على اسس اشتراكية ، وتدعيم الشكل القومى للدولة ، وتطوير الثقافة القومية من حيث الشكل ، الاشتراكية من حيث المضمون .

وفى معالجة السلطة السوفييتية لمساواة وضع جميع الأمم والقوميات مساواة واقعية حقيقية ـ انطلقت من واقع الأوضاع . فاطراف روسيا القيصرية كانت كقاعدة عامة زراعية من الناحية الاقتصادية . وتشابكت المسألة القومية مع مسألة الأرض بصورة قوية . ولذلك فلقد اضفى فلاديمير لينين اهمية كبيرة على الكهربة والرى . فكتب يقول : « الري ضروري أكثر من أى شيء آخر وسيعيد بناء الناحية أكثر من اى شيء آخر ، ويبعث فيها الحياة ويدفن الماضى ويدعم الانتقال الى الاشتراكية » . ويرتبط اسم فلاديمير لينين باعادة تنظيم زراعة القطن فى آسيا الوسطى وهو المحصول الذى ساوى بينه وبين فحم حوض الدون وبترول باكو وما يتعلق بهما من أهمية حاسمة للبناء الاشتراكى فى السنوات الأولى للسلطة السوفييتية . وظهرت الحاجة الى تحولات اقتصادية جذرية

الاقتصـاد هو الأمر الرئيسى

ومن بين هذه التحولات ، التطـوير المدعم للصـناعة ونشر التعاونيات فى الزراعة ـ الأمر الذى يضمن رفع المستوى المادى والثقافى للعمال والفلاحين . ويرتبط نشر التعاونيات ارتباطا وثيقا بالانتقـال من نظام حيـاة البداوة الى استقرار الشعوب الصغيرة ، وهو الانتقال الذى أدخل تغييرات هامة فى اقتصاد هذه الشعوب وتقدمها الثقافى . فمثلا ، فان البدو الرحل الذين يعملون بالرعى ـ أصبحوا يشتغلون بالزراعة . ففى أقصى شمال البلاد ، حصل التشوكتش والنينسى والافينـكى والخانتى والشعوب الصغيرة الأخرى ـ بانتقالها الى نظام الحياة المستقرة على امكانية قيام اقتصاد متعدد المجالات لا يقتصر على مجال واحد . فلم تكتف تلك الشعوب بصيد وتربية الابل أو صيد الأسماك فحسب ، بل أصبحت تشتغل بصناعة الصيد البحرى ، والزراعة أيضا . ولقد ضم السكان المحليون قطعان الغزلان بانشائهم المزارع الجماعية ، الأمر الذى أدى الى تحرير عدد كبير من الرعاة ، الذين تحـولوا للعمـل فى المجالات الأخرى فى المزارع الجماعية .

ان عملية القضاء على التخلف الاقتصادى فى المنـاطق التى كانت مضطهدة من قبل كانت تسير فى ظروف صعبة للغـاية . فلقد كانت الطبقات المعزولة المكونة من كبار الاقطاعيين والملاك ورجال الدين الرجعيين ، تعوق هذه العملية بنشاط وبالسلاح فى كثير من الأحيان . فقد كانوا يوحون الى شعوب المنـاطق القومية بانهـا ليست فى حاجة الى اعادة تنظيم اقتصـادها وحياتها ، وان ما قدر لهم هو نظام البداوة والحفاظ على ملكيات زراعيـة صغيرة يجرى تبعها العمل على اسس بدائية . والأكثر من ذلـك ان الطبقات المعزولة كانت تحاول اثبات ان القضاء على نظـام

الزراعة القديم يعنى على حد زعمهم القضاء على تربية الماشية وزراعة القطن ، وتحويل كل أراضى جمهوريات آسيا الوسطى الى صحارى قاحلة ... وما الى ذلك .

لم تتحقق نبوءة تحول جمهوريات آسيا الوسطى الى صحارى قاحلة . فازبكستان وحدها على سبيل المثال اعطت الاقتصاد القومى للاتحاد السوفييتى من القطن خلال سنوات السلطة السوفييتية عشرة أضعاف ما انتجته منه خلال الخمسين عاما التى سبقت ثورة أكتوبر . واذا ما قارنا هذه البيانات ببيانات أكبر الدول المنتجة للقطن فى العالم فسنجد ان هذه الجمهورية تنتج منه أكثر مما تنتجه الجمهورية العربية المتحدة وباكستان وتركيا مجتمعة . وتحتل أوزبكستان أحد المراكز الأولى فى العالم من حيث محصولية القطن - ١ر٢٥ سنتنارا للهكتار الواحد فى الوقت الذى نجد أن الهكتار فى الولايات المتحدة ينتج ١٨ سنتنارا ، وتركيا - ٥ر١٣ سنتنارا ، والبرازيل - ٦ر٥ سنتنارات ، أما الهند ف ٢ر٤ سنتنارات فقط .

ولقد حققت شعوب آسيا الوسطى هذه النجاحات على حساب الميكنة والرى والمستوى المرتفع للهندسة الزراعية ، واستخدام الكيماويات فى مكافحة الآفات الزراعية . وبهذه المناسبة فان الطيران المدنى يقدم مساعدات لا تقدر قيمتها لزراع القطن فى أوزبكستان وتاجيكستان وتركمانيا وذلك فى كل العمليات الزراعية .

لم يكن من المستطاع ان تنتقل المناطق القومية الى الاشتراكية الا على أساس تصنيع بلاد السوفييت عامة .

ان الاستغلال الكامل والمنظم للثروات الطبيعية ، والنهوض باقتصاد وثقافة المناطق التى كانت متخلفة فيما قبل ، واقامة وتطوير علاقات اقتصادية منظمة بين الجمهوريات ، والاستخدام

المشترك للقوى الانتاجية أصبح ممكنا بفضـل التوزيع الاشتراكى للقوى الانتاجية ».

ولقد لعب التوزيع الاشتراكى للقوى الانتاجية ، القائم على مبادىء تطور اقتصاديات كل الجمهوريات فى آن واحد ــ لعب دوره فى تحقيق المساواة الحقيقية والتعاون الاخوى بين شعوب الاتحاد السوفييتى . وليست هناك ضرورة فى حالة التعـاون الاشتراكى بين الشعوب ، فى اقامة وتطوير كل مجالات الصناعات الثقيلة فى كل جمهورية دون اعتبار للجدوى الاقتصادية ، اذ لم يكن ذلك يؤدى الا الى تبـديد الأموال ، وابطاء وتأثر تطـور الصناعة . ولذلك فان عملية تصنيع الجمهوريات القوميـة كانت تجرى باعتبـار الظـروف المحلية والموارد الطبيعية والوضـع الجغرافى وخطوط الموصلات ومستوى التطور التاريخى والشكل الرئيسى للاقتصاد . ففى أوزبكستان مثلا تطلبت مصالح الاقتصاد الإشتراكى تطوير الصناعات الخفيفة بالدور الأول . وهى الصناعات التى كانت خاماتها موجودة بوفرة هنـاك . وقدمت المنـاطق الصناعية فى بلاد السوفييت لهذه الجمهورية الماكينات والمعـدات اللازمة لاقامة الصناعات الخفيفة وصناعة النسيج أولا وقبـل كل شىء ».

ان تطوير الصناعات الخفيفة فى أوزبكستان كان يتناسب والمبدأ الاشتراكى لتوزيع القوى الانتاجية لبلاد السوفييت ، وهو المبدأ الذى ينحصر جوهره فى الاستخدام المناسب المنظم الأقصى للموارد الخامات وتقريب الصـناعات منهـا . وبدأت صـناعات الفلزات وبناء الماكينات فى أوزبكستان بالتدريج تتطور بجـانب الصناعات الخفيفة ».

وأوزبكستان المعاصرة ــ بلاد صناعية متطورة ــ حيث تمت اقامة صناعة الغاز الطبيعى والصناعات الكيماوية ، وبناء الماكينات

للفروع العديدة ، وصناعة البترول ، والفحم ، والصناعات التعدينية وصناعة الفلزات والمعدات الكهربية ، والصناعات الخفيفة والغذائية وغير ذلك من المجالات الصناعية فضلا عن صناعة البناء . وتواصل كل هذه الصناعات تطورها فى الجمهورية . ويوجد فى الجمهورية أكثر من الف مؤسسة صناعية كبيرة تدخل فى نطاق مائة فرع للصناعة ، مزودة بأحدث المعدات العالية الانتاجية . وظهرت فى الجمهورية ليس المشاريع الصناعية العملاقة الجديدة فحسب ، بل ومدن كاملة اصبحت مراكز كبيرة صناعية وثقافية مثل تشيرتشيك ونافوى ، ابخرن ويانجى اباد ، المالك وبك اباد ، يانجيد ويانجيول ، ولينينسك ونوكوس ، وخودجيلى وكوفاساى ، وتحيا أتاش وبيرونى ، كونجراد ومايناك .

وتنتج اوزبكستان الجرارات والحفارات والمكابس والمضخات والمعدات الكهربية لخلخلة الهواء ، والكابلات ، وجزءا كبيرا مما ينتجه الاتحاد السوفييتى من ماكينات البرم والغزل ، كما وتزود كل جمهوريات البلاد التى تزرع القطن بماكينات جنى القطن وغير ذلك من معدات تصنيع القطن ومعدات المحالج ... وهكذا . وتنتج اوزبكستان الماكينات الزراعية بكمية تفوق ما تنتجه منها بلدان الشرقين الأوسط والأدنى مجتمعة .

وكان من المفيد لمصلحة التعاون الاشتراكى للامم ، ولمصلحة الشعب الكازاخى نفسه أن يبدأ تصنيع كازاخستان بتطوير صناعة التعدين واقامة مراكز صناعية تعدينية ، ذلك لأن الجمهورية غنية جدا بالثروات المعدنية .

وكان التصنيع الاشتراكى للجمهوريات القومية يتم فى ظل ظروف التعاون الاخوى لشعوب الاتحاد السوفييتى . ولقد تلقت شعوب آسيا الوسطى وكازاخستان مساعدة كبيرة من الجمهوريات

الأكثر تطورا فى الناحية الصناعية : جمهورية روسيا الاتحـادية وأوكرانيا وبيلوروسيا واذربيجان وغيرها . وكان من نتـائج هذه المساعدات ، ان الصـناعات التى اقيمت فى آسـيا الوسطى وكازاخستان قد تلقت أحدث المعدات تماما .

ولقد اقام الاوزبيك ـ مثلا ـ بمساعدة الشعوب الشقيقة ، الكثير من المشروعات الصناعية الضخمة فى جمهوريتهم مثل مجمع نسيج طشقند ، ومصنع طشقند لبناء الآلات الزراعية ، ومجمـع تشيرتشيك للكيمياء الكهربية .

ويفخر شعب كازاخستان ببنائه حـوض كاراجاندا للفحـم ومصنع بالخاش للنحاس ، ومصنع تشمكنت للرصاص ، ومجمع اكتيوبنسك للكيماويات وغير ذلك من المؤسسات الصناعية الضخمة والتى تلعب دورا ملحوظا فى اقتصاد الاتحاد السوفييتى كله .

ولم يكن فى استطاعة الشـعوب التى كانت متأخرة أن تقيم مثل هذه المؤسسات الصناعية العملاقة الا لمساعدة كل الشـعوب الشقيقة .

فلقد اشترك ، على سبيل المثال ، فى بناء مجمع تشيرتشـيك للكيمياء الكهربية فى أوزبكستان عمال ١٧٠ مصنعا من موسـكو ولينينجراد وسفردلوفسك ، وكييف ، ودونباس ، ومينسـك ، وباكو ، وكذلك عمال الجمهوريات المجاورة : التاجيك والقيرجيز والكازاخ .

لم يكن قبل الثورة فى كازاخستان سوى ٦ مصانع يعمل بها ما يربو على ٢٠٠ عامل بقليل . ولقد تم هنا بنـاء أكثر من ٢٦٠ مؤسسة صناعية ضخمة فى سنوات السلطة السوفييتية .

واقيمت مجالات صناعية كاملة لم تكن موجودة من قبل ، مثل صناعات توليد الطاقة ، وبناء الماكينات ، وتشغيل المعادن ،

والتعدين ، والغاز ، ومعدات الورش ، وبناء الآلات الزراعية ، وصناعة مواد البناء ، ومعدات التجارة ، وصناعات القطن والحرير والتريكو ، والزيوت والشحوم ، وحفظ الأغذية ، والأحذية ، والخمور ، والدخان وعدد من الصناعات الأخرى .

ولقد تم في تاجيكستان انشاء مصنع لانتاج المعدات البترولية ، ومصنع لانتاج أجزاء الجرارات ، ومصنع انوال النسيج « تاجيكتكستلماش » ومصنع الثلاجات المنزلية « بامير » ، ومصنع الكابلات ، ومجمع أسمنت يبلغ طاقته مليون طن من الاسمنت في العام ، وكل هذه المصانع تزيد طاقتها من عام لآخر .

وبدأ تشغيل أول مصنع للكيماويات بالجمهورية - مصنع فاخش للاسمنت الازوتية ، واخذ بناء المرحلة الأولى من مصنع الالمنيوم بتاجيكستان طريقه الى الانتهاء ، ومجمع يفانسك للكيمياء الكهربية ، ومصنع الكيماويات المنزلية في اصفره ، ومصنع أورا - توبينسكي للابس التريكو ، ومصنع خياطة في نورك ، ومصنعين للمعلبات في بينجيكينته واصفره وغير ذلك الكثير من المؤسسات الصناعية الأخرى .

وتتسع قاعدة توليد الطاقة في الجمهورية باستمرار . ولم يكن هناك في تاجيكستان قبل ثورة اكتوبر محطة واحدة لتوليد الكهرباء . ولقد تم بناء ٤٢ محطة خلال سنوات السلطة السوفييتية ، بل ومحطات قوية مثل محطة كايراكوم الكهرمائية « دروجبا نارودوف » (صداقة الشعوب) على نهر سيحون ، وقدرتها ١٢٥ ألف كيلووات ، ومحطة « جولوفنيا » - أضخم محطة في آسيا الوسطى - على نهر فاخش وقدرتها ٢١٠ آلاف كيلووات .

وتسبق تاجيكستان بلاد الشرق الأجنبية من حيث مستوى انتاج الطاقة الكهربية بالنسبة للفرد الواحد من السكان . واذا كان

لصيب الفرد الواحد من الطاقة الكهربية المنتجة فى تاجيكستان عام ١٩٦٤ ـ ٧١٨ كيلووات ساعة ، فان هذه النسبة تبلغ فى باكستان ٣٤ كيلووات ساعة ، وفى الهند ٧٣ كيلووات ساعة وفى تركيا ١٤٣ كيلووات ساعة .

ولقد بدأ فى عام ١٩٦١ بناء احدى أكبر محطات توليد الكهرباء فى الاتحاد السوفييتى وهى محطة نوريكسك على نهر فاخش . وتفوق هذه المحطة من حيث القدرة (٢ر٧ مليون كيلووات) أكبر المحطات الكهرمائية بالولايات المتحدة . وسوف تعطى حوالى ١٢ مليار كيلووات ساعة من الطاقة الكهربية فى العام . ومحطة نور بكسك لتوليد الكهرباء ـ بناء فريد من نوعه ، فارتفاع سدها ٣٠٠ متر ويسع خزان المياه أمامها ٥ر١٠ مليار متر مكعب من المياه . وسرعان ما سيبدأ بناء محطة أخرى أكبر منها عند شلال فاخش ـ وهى محطة نيجنى ـ راجونسك ، التى ستبلغ قدرتها ٢ر٣ مليون كيلووات . وستمد تاجيكستان كل جمهوريات آسيا الوسطى وجنوب كازاخستان بالطاقة الكهربية الرخيصة . ومن المقرر تصدير جزء من تلك الطاقة الى افغانستان الصديقة المجاورة .

ان جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية التى كانت تستورد قبل الثورة لا الكيروسين والمسامير فقط بل المنسوجات القطنية المصنعة من خاماتها أيضا ـ تقوم فى الوقت الحاضر بتصدير انتاجها الى ٩١ من بلدان العالم .

وتحتل آسيا الوسطى وكازاخستان اللتان كانتا متخلفتين فيما سبق ، مكانا كبيرا فى الانتاج على مستوى الاتحاد السوفييتى فى بعض انواع الانتاج الصناعى . فمثلا تحتل كازاخستان المكان الأول من حيث انتاج الكثير من المعادن غير الحديدية ، والمكان الثالث من حيث استخراج الفحم وانتاج الطاقة الكهربية .

وتلعب صناعات المعادن غير الحديدية والفحم والبترول وبناء الماكينات فى هذه الجمهورية دورا هاما كذلك فى اقتصاديات الاتحاد السوفييتى • وتعطى جمهوريات آسيا الوسطى ثلاثة أرباع انتاج الاتحاد السوفييتى من ماكينات الغزل ، وحوالى ١٠٠ ٪ من ماكينات بذر ومعالجة وجمع القطن •

ولقد حققت الشعوب التى تعيش فى أطراف بلاد السوفييت ، وفى مقدمتها جمهوريات آسيا الوسطى ، نجاحات هائلة فى مجال الزراعة كذلك • ان مرسوم الأرض والاصلاحات الزراعية الخاصة بتوزيع الأرض والمياه ، التى تمت بناء عليه فى السنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ، ١٢٩٥ ـ ١٩٢٩ ـ لعب دورا ضخما فى هذا المجال •

أوزبكستان على سبيل المثال • ان الفلاح الأوزبيكى لأول مرة فى تاريخه الطويل ـ قد أصبح حرا ، وبدأ يعمـــل فى أرضـــه الحقيقية • وسار الفلاحون الأوزبيك ـ مثلهم مثل كل الفلاحين فى بلاد السوفييت ـ على طريق التعاونيات ، الأمر الذى حول الانتاج الزراعى الصغير المتخلف الى انتاج عصرى غنى بأحدث المعدات •

ويوجد فى أوزبكستان الآن ـ ١٤٠٠ مزرعة تعاونية و ٣١٨ مزرعة حكومية لزراعة القطن وتربية الحيوان ، وزراعة الفـواكه والعنب ، والغلال والخضروات وغير ذلك بدلا من الـ ٧٥٠ ألف مزرعة خاصة فى وقت ما •

ولقد أعطى كل هذا امكانية رفـع مستوى الزراعة بصـــورة كبيرة ، واستخدام الكيماويات على نطاق واســع ، والميـــكنة الشاملة ، والتطوير الشامل للزراعة القائمة على الرى ، والقيـــام بعمليات رى ضخمة من حيث طبيعتها • والنتيجة أن الصـــحارى القاحلة ـ مثل برارى جالودينا (البرارى القاحلة) قد تحـولت الى مناطق خيرات وفيرة •

على قدم المساواة مع الرجل وبجانبه

كانت لمسألة المرأة اهمية كبيـــرة جدا فى البنـــاء القومى السوفييتى . ولقد ساوت أول الاعلانات والقوانين التشريعيــة للسلطة السوفييتية بين الرجل والمرأة فى الحقوق .

لم تعلن مراسيم السلطة السوفييتية فقط عن مساواة الرجل والمرأة فى العمل والراحة والتعليم واستغلال الأرض والضـــمان الاجتماعى ، بل وضمنت كذلك حماية مصالح الامومة والطفولة من قبل الدولة ، ومنح المرأة اجازة فترة الحمل مع الاحتفاظ بمرتبها، واقامة شبكة واسعة من مستشفيات الولادة ، ودور الحضانة ورياض الأطفال .

واتخذت السلطة السوفييتية عددا من المراسيم الخاصة علاوة على التشريعات السوفييتية العامة وذلك تقديرا لمشاكل تحـرير المرأة فى الشرق حيث كان يسيطر التأخر وتأثير التقاليد والدين والعلاقات الاقطاعية ــ الأبوية . فتم تحريم تعدد الزوجات وتزويج الفتيات دون رغبتهن ، وتم تحديد الحد الأدنى لسن زواج المـرأة بـ ١٦ عاما بدلا من التسع سنوات حسب التقاليد القديمة . وكل من كان يخالف هذه المراسيم : بالاجبار على الزواج دون رغبـــة فيه ، وغير ذلك كان مصيره السجن .

ولقد كانت الأعمال الموجهة للانقاص من حقوق المرأة تتساوى مع افظع الجرائم ضد الدولة السوفييتية .

ولم يكن من الممكن تحرير المرأة تحريرا فعليـــا الا عن طريق ادماجها فى الثقافة والتعليم وآخر انجازات العلم والتكنولوجيا فى العالم . ولذلك كان من الضرورى منذ السنوات الأولى لبنـــاء المدرسة السوفييتية اجتذاب فتيات القـوميات المحليـــة للتعلم فى

المدارس على نطاق جماهيرى ، والقضاء بذلك على المخالفات القبلية الاقطاعية التى استمرت قرونا بأكملها .

وتقديرا للحواص القومية والمعيشية لشعوب المناطق القومية ـ اعتبرت السلطة السوفييتية فى سنواتها الأولى أنه من الممكن السماح بتنظيم مدارس خاصة للبنات . وكانت المدارس تخصص دروسا للأشغال اليدوية ونسج السجاد والخياطة وذلك لاجتذاب فتيات القوميات المحلية للتعليم .

وفى السنوات التالية شهدت كل جمهوريات آسيا الوسطى وكازاخستان اقامة مدارس داخلية خاصة لتلميذات الصفوف من الثامن الى العاشر . وكانت كل الاجراءات تتخذ كى تواصل الخريجات الدراسة فى المعاهد العليا والمعاهد المتوسطة الفنية بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية .

وتوجد الآن فى جمهوريات آسيا الوسطى وكازاخستان معاهد ومدارس معلمات خاصة مثل : معهد المعلمات فى دوشانبى ، ومدرسة المعلمات فى تشاردجو ، ومعهد ماريسك للمعلمات فى تركمانيا ، ومعاهد للمعلمات فى كازاخستان وقرجيزيا .

ولقد ساعد كل ذلك بالطبع على حل مشكلة تعليم المرأة . ففى تاجيكستان على سبيل المثال تشكل الفتيات ٤٧٪ من مجموع الدارسين بالمدارس . ويجرى التعليم بنفس هذا المستوى فى كل أنحاء الجمهوريات القومية . وفى أوزبكستان نجد أن أكثر من ٧٠ ألفا من نساء الجمهورية قد حصلن على تعليمهن العالى ، و٨٤ ألفا حصلن على التعليم المتوسط الفنى . وتشكل النساء أكثر من نصف العاملين فى الانتاج تقريبا ومن بينهن ١٧ ألف مهندسة وفنية ، وتحمل ٤٢ امرأة أوزبكية لقب الدكتوراه العلمية ، وأكثر من ١٠٠٠ امرأة تحمل لقب الدكتوراه فى فلسفة العلوم ، وحوالى ٧ آلاف امرأة تقريبا من الباحثات العلميات .

ويمثل أوزبكستان فى مجلس السوفييت الأعلى بالاتحاد السوفييتى ٢٢ نائبة منتخبة ، وفى مجلس السوفييت الأعلى بجمهورية أوزبكستان ١٤١ نائبة ، وفى مجالس السوفييت المحلية بالجمهورية ٣٤٦٤٠ نائبة . وتشغل بجدارة نصر الديتوفا النائبة الأوزبيكية لمجلس السوفييت الأعلى بالاتحاد السوفييتى - منصب رئيسة مجلس القوميات لمجلس السوفييت الأعلى بالاتحاد السوفييتى ، وكانت تشغل منصب رئيسة هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية أوزبكستان خلال عدة سنوات قبل ذلك .

بعث من نوع جديد

وكزت السلطة السوفييتية منذ أيامها الأولى اهتماما كبيرا على تطوير ثقافه الشعوب الصغيرة وخاصة دور اللغات القومية فى تنوير الجماهير الشعبية . فكان من الضرورى خلق صحافة ، ومسرح ، وأدب ، ومؤسسات ثقافية أخرى ، وتطوير شبكة عريضة من الفرق الدراسية والمدارس لكل من التعليم العام والتعليم الفنى المهنى بحيث تجرى الدراسة فيها باللغة القومية . ويتميز التطور الثقافى للشعوب الضعيفة التطور فيما سبق بالثورة الاشتراكية الحقيقية فى مجال الثقافة والتى تعتبر تجربتها دليلا على أن ثقافة كل من أمم الاتحاد السوفييتى قد حققت نجاحات فى تطورها بفضل الوحدة الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية وحدها . ولقد حدد واتخذ الحزب الشيوعى منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عددا من الاجراءات تستهدف بعث الثقافة القومية الأصيلة على أساس اشتراكى جديد . وذلك بالنسبة لكل الشعوب التى كانت مضطهدة من قبل .

ولقد ضمنت السياسية القومية التى أعلنتها ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ـ حق كل شعب فى تعليم وتربية الجيل الصاعد باللغة القومية • وهيئت لكل الشعوب الظروف الضرورية لكتابة لغتها وتطوير وتحسين لغاتها القومية .

وكانت آسيا الوسطى وكازاخستان ـ على سبيل المثال ، وما زالتا تشكلان صورة مختلطة من وجهة النظر اللغوية : فتنتشر هنا اللغات التركية والفارسية الأصل ، والتى تنقسم الى العديد من اللهجات الأصلية والفرعيه ، فضلا عن اللغة الدونجاتية ولهجات اللغة العربية ••• وهكذا • وكانت الغالبية العظمى من هذه اللغات قبل ثورة اكتوبر لا تعرف الكتابة ، بل وتلك اللغات التى كانت تستخدم الحروف العربية فى الكتابة لم تكن تعرف فى الجوهر قواعد عامة محددة فى الاملاء . أما فيما يتعلق باللغات المكتوبة القديمة (اللغة الأوزبيكية واللغة التاجيكية) ، فانها تكونت على أسس لهجات العصور الوسطى وبذلك لم تكن تعكس خواص لغة الشعب الحية وكانت غير مفهومة للشغيلة فى كثير من الأحيان • وكانت غالبية شعوب آسيا الوسطى وكازاخستان محرومة فى الواقع من امكانية ان تكون لها مدرسة دنيوية تجرى الدراسة فيها باللغة الوطنية .

ما العمل وما هى الأسس التى يجب ، انطلاقا منها ، تطوير الثقافة فى مثل هذا الموقف المعقد الى هذا الحد ؟ أمن الأفضل رفض اللغات القومية والعمل على نشر اللغة الروسية ؟

لقد رفض لينين نهائيا كل الاقتراحات التى تقضى بادخال اللغة الروسية فى المناطق القومية كلغة للدولة •• لغة اجبارية للجميع ، ولغة التعليم الوحيدة . وكان رفض لينين لهذه الاقتراحات قائما على انها تناقض التطور الحر للغات كل شعوب الاتحاد السوفييتى •

وتلقت الشعوب الصغيرة مساعدة ضخمة لتطوير لغــاتها القومية وشارك في اعداد كتابة لغة شعوب المناطق القــومية أبرز علماء اللغة في كل من روسيا والمناطق القومية . وأصبحت هناك ابجدية لكل الشعوب التي لم تكن لها كتابة من قبل ، ومن بينها الشعوب الصــغيرة مثــل الايفينك والنينتسي والتشوكتش ، والمانسي ، نتيجة الجهد المتواصل .

وعلى أثر اعداد ابجديات اللغات القومية ، تأسست الصحافة ، التي لعبت دورا كبيرا في نشر الكتابة الجديدة وتنظيم المدرسة القومية . فكانت صفحات الجرائد والمجلات الدورية تعكس حياة الشعب المتعددة الجوانب ، وتنشر باللغه القومية مواد أصلية الى جانب الترجمات من اللغة الروسية واللغات الأخرى ، والمؤلفات الفلكلورية وكذلك مؤلفات الكتاب والشعراء المحليين .

وتصدر الآن في جمهورية توفا الصغيرة ذات الحكم الذاتي ـ على سبيل المثال ـ ثلاث مجلات ، وثلاث جرائد اقليمية وثلاث جرائد في المناطق يصل مجموع نسخها ٤١ ألف نسخة في الطبعة الواحدة علما بأن تعداد سكان هذه الجمهورية الذاتية الحكم لا يصل الى مائتي ألف نسمة .

ويقرأ سكان توفا الآن ، الكتب بلغتهــم الوطنيــة بعد أميتهم التامة في الماضي . ولقد أصدرت دار نشر توفا خلال سنوات السلطة السوفييتية (منذ عام ١٩٤٤) حوالي ألفي كتاب بعناوين مختلفة يبلغ اجمالي نسخها ٧ ملايين نسخة .

والى جانب الكتابة في الجمهوريات والأقاليــم القومية ، انتشرت شبكة واسعة لمراكز محو الأمية ، وظهرت مدارس ابتدائية لتعليم الأطفال بلغتهم الوطنية .

وانتشرت في كل مكان المبادرات الذاتية من أفراد المجتمع ؛ فكان الطلبة وموظفو المدن يتوجهون للقرى ، ويساعدون في تثقيف

سكانها . وأصبح تلاميذ الأمس يعلمون بأنفسهم العمال والفلاحين الذين لم يكونوا قد تعلموا القراءة والكتابة بعد .

وكانت الحملة الشعبية العامة ضد الأمية فى السنوات الأولى للسلطة السوفييتيه تحتاج الى عدد هائل من المعلمين • فكان يجرى اعدادهم فى بادىء الأمر ، وقبل انشاء شبكة مدارس ومعاهد المعلمين ، فى فرق دراسية خاصة تستغرق اما ثلاثة أشهر او ستة أشهر أو سنة •

وكان الاقتصاد الاشتراكى النامى بسرعة فى حاجة دائما الى المزيد من العمال المهرة والموظفين والاختصاصيين فى الزراعة والمهندسين • ان السلطة السوفييتية فى نفس الوقت التى كانت تقضى فيه على الأمية الشاملة ــ قامت بتوسيع شبكة المدارس الثانوية العامة والمعاهد الفنية ، والفرق الدراسية لرفع المهارة ، واخيرا المعاهد العليا ، حيث أصبحت الدراسة فيها تجرى بلغة السكان المحليين بصورة أساسية .

ان أهم دلائل المستوى الثقافى فى بلد ما ــ هو عدد الشباب الذين يتعلمون ، وحالة الآداب والفنون •

فمن حيث عدد الطلبة بالنسبة لكل عشرة آلاف نسمة من السكان نجد أن أوزبكستان تتفوق على فرنسا بحوالى مرتين وانجلترا بحوالى ٣ مرات ، والمانيا الغربية ٣ر٣ مرة ، وايطاليا ٣ مرات • وعدد الطلبة بالنسبة لكل عشرة آلاف من السكان هو فى أوزبكستان ١٥٢ طالبا ، وفى كازاخستان ١٤٦ طالبا ، وفى قيرجيزيا ١١٣ طالبا ، وفى تاجيكستان ١٠٨ طلاب ، وفى تركمانيا ٩٠ طالبا ••• وفيها نسبة عالية جدا من طلاب القوميات الأصلية •

والتعليم الزامى حتى الصف الثامن فى كل جمهوريات الاتحاد السوفييتى فى الوقت الحاضر • فيوجد فى أوزبكستان الآن على سبيل المثال ــ حوالى ٩٠٠٠ مدرسة يتعلم فيها حوالى ثلاثة ملايين

تلميذ وتلميذة • ويستكمل ٢٢٤ ألف طالب تعليمهم فى جامعتين و ٣٦ معهدا عاليا و ١٣٠ مدرسة فنية متوسطة بالجمهورية .

وتوجد الآن فى كل الجمهوريات الاتحادية أكاديميات علوم خاصة بها . واذا عدنا الى أوزبكستان مرة أخرى ، فنجد أن أكاديمية العلوم قد تأسست فى سنوات الحرب العالمية الثانية ـ فى عام ١٩٤٣ . وكانت أكاديمية العلوم بأوزبكستان آنذاك تضم ١٠ معاهد للبحث العلمى فقط • اما الآن فيوجد فى الجمهورية أكثر من ١٦٠ مؤسسة للبحث العلمى يعمل بها حوالى ٢٠ الف باحث علمى .

واوزبكستان اليوم ـ بلاد الأبحاث . فيزيد العلماء الأوزبيك ثروة العلم باكتشافات جريئة فى كل مجال تقريبا من مجالات المعارف العصرية . وتحت تصرف المؤسسات العلمية كل المعدات والاجهزة الحديثة ـ مفاعل ذرى للأبحاث ، وأجهزة أشعة جاما الضخمة ، ومفاعل ذرى (سيكلوترون) وماكينات حاسبة الكترونية عالية السرعة وأجهزة شمسية وغير ذلك •

ولقد قدمت أكاديميات العلوم بالجمهوريات عددا من العلماء البارزين المعروفين فى كل الاتحاد السوفييتى . وهاكم مثلين فقط . يعمل فى أوزبكستان الأكاديمى س. يونسوف ، وهو من كبار خبراء مجال كيمياء النباتات وقد منح لقب بطل العمل الاشتراكى . ولقد اكتشف فى جمهوريات آسيا الوسطى ٣٩ نباتا مختلفا تحتوى على أشباه القلويات . ويستخدم الدواء الذى أعده باسم « ايدروكلوريد البارفنكان » ـ بنجاح فى علاج مرض الأعصاب والراديكوليت وبعض الأمراض الأخرى . ويعمل العالم لايجاد امكانية الاسراع بنضج المحاصيل وزيادة مقاومة النباتات للآفات ، وفصل أوراق القطن قبل معالجته بالماكينات وذلك عن طريق أشباه القلويات .

والعالم كله يعرف عالم الفلك ق. امبارتسوميان رئيس اكاديمية علوم أرمينيا . ونتيجة لأعماله فى مرصد بيوراكان ، حيث يشرف على مجموعة كبيرة من الفلكيين ـ تم انتخابه عضوا فى الأكاديميات والجمعيات العلمية فى كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا وكندا وبلجيكا والنمسا وفى بلدان اخرى .

لم تعد عواصم الجمهوريات الاتحادية والأقاليم ذات الحكم الذاتى وحدها مراكز علمية ضخمة . فمنذ نصف قرن مضى كانت سارانسك ـ أهم مدن موردفيا احدى جمهوريات الحكم الذاتى فى منطقة وسط نهر الفولجا ـ كالبندر يبلغ عدد سكانها ١٥ الف نسمة . وكان سكان موردوفيا كلهم تقريبا يعانون من الجهل والفقر والعديد من الأمراض . أما الآن ففى سارانسك ، هذا المركز الصناعى الكبير ، توجد ، الى جانب معاهد البحث العلمى والمعاهد العليا جامعة يدرس بها حوالى ٦ آلاف طالب . وبالجامعة خمس كليات : كلية الآداب والتاريخ وبها التخصصات التالية : التاريخ ، واللغة الروسية والأدب ، واللغة الموردوفية والأدب ، واللغات الأجنبية (الانجليزية والألمانية) ، وكلية الطبيعة والرياضيات وتخصصاتها : الطبيعة والرياضيات (وتعد الكلية المعلمين للمدارس الثانوية ، والباحثين لمعاهد البحث العلمى والمؤسسات الصناعية) ، وكلية الكيمياء والبيولوجيا وتخصصاتها : الكيمياء والبيولوجيا ، وكلية الزراعة وتخصصاتها : الهندسة الزراعية ، وعلم تربية الدواجن ، وميكنة الانتاج الزراعى ، وكلية الهندسة ، وتخصصاتها : الماكينات والأجهزة الكهربية ، والعوازل الكهربية وأشباه الموصلات (الترانزيستور) ، وهندسة الضوء وبناء الكشافات الضوئية ، والمبانى الصناعية والمدنية .

وبجامعة سارانسك ٣٩ قسما وشبكة كبيرة للمختبرات

ومزرعة تعليمية وحديقة نباتية وبالطبع مكتبة يربو عدد ما بها من كتب على الربع مليون كتاب .

ان نجاحات الجمهوريات القومية عظيمة لا فى مجال التعليم والعلم فقط ، بل وفى كل مجالات الثقافة ، وازدهار الآداب والفنون .

ومثلا لم يكن هناك نثر قومى تقريبا لدى الشعب الأوزبيكى قبل الثورة . فكان النثر عبارة عن حكايات شعبية شفهية وترجمات من اللغة العربية واللغات الأخرى . وما ان حان منتصف الثلاثينيات حتى أصبح لدى الأوزبيك أدب غنى متطور من جميع النواحى يضم النثر والشعر . كما لم يكن لدى الأوزبيك قبل الثورة موسيقى سيمفونية حديثة . وبعد الثلاثينيات فقط ظهرت أوبرات وباليهات ومؤلفات سيمفونية كبيرة أوزبيكية . وقبل ثورة أكتوبر لم يكن الأوزبيك يعرفون فن الرسم على اللوحات . ولقد منحت الاشتراكية الشعب الأوزبيكى كل الظروف الضرورية لازدهار مختلف فروع واتجاهات الفن التشكيلى . ويوجد الآن تحت تصرف شغيلة أوزبكستان ، شبكة واسعة من المؤسسات الثقافية التنويرية . ويبلغ نصيب كل عشرة آلاف من سكان الجمهورية من الأماكن فى دور السينما أكثر بمرتين مما فى تركيا ، و ١٥ مرة مما فى باكستان وأربع مرات مما فى ايران .

واليكم الاحصائيات التالية : كان رصيد كل مكتبات روسيا القيصرية من الكتب عام ١٩١٣ ، ٩ر٤ مليون كتاب من مختلف الطبعات ، اما فى عام ١٩٦٤ فبلغ هذا الرصيد فى أوزبكستان وحدها ١٩ر٧ مليون كتاب .

وهكذا فان بناء الاشتراكية والشيوعية ، والسياسة القومية اللينينية تضمن ازدهار كل أمم الاتحاد السوفييتى ، والمساواة بين مستوياتها الاقتصادية الأمر الذى يعتبر شرطا هاما للانتصار التام للشيوعية ■

صحة سليمة لكل فـــرد

لقد ساعد نمو الرفاهية المادية ، وثقافة السكان ، وتطور العلم والتكنولوجيا ، وانشاء شبكة متشـــعبة دائمـــة التحسن من الخدمات الطبية المجانية ــ على تقوية صحة الشعب الســـوفييتى .

وكانت النتيجة ، اختفاء أمراض كثيرة (الطاعــون والكـــوليرا والدوسنتاريا المتوطنة والتيفود وغير ذلك) ، وهى الأمراض التى كانت تودى سنويا بحياة عشرات الآلاف فى روسيا القيصرية .

ولنأخذ جمهورية مولدافيا الاتحادية الصغيرة الواقعــة فى جنوب غرب الاتحاد السوفييتى كمثال . كان مستوى الصحة هناك فى ظل النظام البورجوازى الاقطاعى منخفضا بدرجة كبيرة . ولم تكن الخدمات الطبية تقدم للشـــغيلة فى الواقع . وكان وضع الخدمات الطبية للنساء والأطفال فى غاية السوء . فقد تمتع جزء بسيط فقط من النساء بالخدمات الطبية أثنـــاء الولادة ــ وكن أساسا من سكان المدن . ولم يكن هناك مستوصفات للأطفال ولا دور حضانة أو رياض أطفال بالمرة .

ولقد حدثت تغييرات كبيرة فى التنظيم الصحى خلال سنوات السلطة السوفييتية . واذا كان فى مولدافيا عام ١٩١٣ ــ ٦٨ مؤسسة علاجية ، فان بها الآن أكثر من ٢٦٠٠ مستشفى وعيـــادة ومستوصف ومستشفى للولادة .

وكان نصيب كل عشرة آلاف من سكان مولدافيا عام ١٩٦٧ ، طبيبا وحوالى ٧٣ ممرضا من ذوى التعليم الطبى المتوسط .

وتقوم الجماعات الطبية المتنقلة ، بخدمة العـــاملين بالمزارع التعاونية فى الحقول مباشرة ، وذلك فى الفتــــرات المشـــحونة بالأعمال الزراعية . ويجرى فى الحقول كذلك تنظيـــم نقط لصرف الادوية .

وظهرت فى مولدافيا خلال سنوات السلطة السوفييتية مراكز طبية علمية : معاهد الأورام والسل وعلوم الصحة وعلم الأمراض الوبائية .

لقد ادى رفع المستوى المادى للحياة ، وتحسين الحالة الصحية فى المدن والقرى والعمل الوقائى العلاجى للعاملين بالطب - الى تخفيض الاصابات بالأمراض المعدية بصورة كبيرة فى مولدافيا . فانخفضت اصابات السل الى النصف . ولم تشهد جمهورية مولدافيا فى السنوات الأخيرة اية حالة من اصابات الملاريا او الحميات او الحمى الراجعة .

ولقد عملت السلطة السوفييتية الكثير ، للوقاية الصحية فى جمهوريات آسيا الوسطى بصفة خاصة . واذا كان فى مولدافيا الصغيرة ، التى كانت تعتبر ركنا منسيا من أوربا - قبل بداية الحرب العالمية الأولى ٦٨ مؤسسة علاجية أولا عن آخر ، فان تاجيكستان التى تبلغ مساحتها الضعف لم تكن تملك سوى مستشفى واحد به أربعون سريرا و ١١ مستوصفا نعمل بها ١٣ طبيبا فقط . ومع ذلك فان هذه المؤسسات العلاجية كانت تقوم بخدمة الوحدات العسكرية المتمركزة فى الناحية ، وكذلك موظفى الجهاز الادارى فقط . أما سكان تاجيكستان فكانوا محرومين فى الواقع من الخدمات الطبية ، وكانوا مضطرين لطلب الخدمات الطبية من ادعياء الطب والمشعوذين . ولا يثير العجب ان الجدرى والتيفود والرمد والقرحة والملاريا كانت منتشرة بين أهالى تاجيكستان على نطاق واسع . وكان وباءا الطاعون والكوليرا يظهران بانتظام فيذهبان بحياة الآلاف من الناس . وكان يموت الكثير من الأطفال والأمهات أثناء عملية الولادة نتيجة الظروف غير الصحية .

أما الآن ففى جمهورية تاجيكستان حوالى ١٥٠٠ مؤسسة

طبية من بينها أكثر من ٢٧٨ مستشفى كبيرا تسع ٢٦٣٠٠ سرير تقريبا .

ولقد تفوقت تاجيكستان من حيث نسبة عدد الأطباء لكل عشرة آلاف من السكان ، على الكثير من الدول المتطورة . ولقد تم فيها القضاء تماما على الجدرى والملاريا ، ويجرى القضاء على الرمد كمرض متوطن ، وانخفضت نسبة الاصابة بالأمراض المعدية الأخرى بصورة كبيرة . وتسجل تاجيكستان اعلى مستوى فى العالم لمتوسط العمر والنمو الطبيعى لعدد السكان .

كان تنظيم الخدمات الطبية لسكان المناطق القومية مرتبطا بصعوبات هائلة متمثلة فى الآراء الدينية الباطلة ، ودعاية القوميين المحليين وبكبر المساحة وتشتت السكان بصورة كبيرة بها .

وعلى سبيل المثال تقع جمهورية ياكوتيا الاشتراكية السوفييتية ذات الحكم الذاتى فى حوض نهر لينا (بسيبيريا) ، ومساحتها تزيد على ثلاثة ملايين كيلومتر مربع وهى أكبر من مساحة فرنسا خمس مرات . ومع ذلك فعدد سكانها حوالى ٧٠٠ الف نسمة فقط .

ومن الممكن ملاحظة نفس الشىء فى تشوكوتكا وتوفا والمناطق الجبلية العالية بآسيا الوسطى والقوقاز .

ولم تقف الحاجة هناك عند انشاء شبكة علاجية واسعة فقط ، بل وايجاد كل وسائل النقل وفى مقدمتها الطيران للقيام بالخدمات الصحية . ولقد أصبح قانونا عاديا بالنسبة لسكان هذه المناطق ، انه فى حالة خطورة مرض احدهم فانهم يستدعون الطيران الصحى على الفور ، وتجىء الطائرة وبها طبيب وفى بعض الأحيان احد أساتذة الطب ، حيث يسعف المريض حتما ، وكل هذا بالمجان تماما .

ان النضال من اجل صحة المواطنين ـ ليس فقط الوصول الى فراش المريض فى الوقت المناسب ، ولا القيام بالفحص الطبى الجماهيرى للسكان وحقنهم بالأمصال الوقائية فحسب ، بل والتطوير الشامل للتربية البدنية والرياضية أيضا •

ولقد اصطدمت السلطة السوفييتية اثناء حل هذه المشكلة فى المناطق القومية بعدد من الصعاب الجدية • فالرياضة يجب ان تكون جماعية وعلى مستوى آخر انجازات الفسيولوجيا الرياضية ، وأن تبقى قومية من حيث الشكل فى متناول الجميع : الأطفال والشباب والبالغين بل والمسنين ايضا ، وبشكل خاص ان تكون فى متناول النساء على قدم المساواة بالرجال • ولكن كيف يمكن حتى التحدث عن حركة التربية البدنية الجماعية فى المناطق القومية ، اذا كانت التقاليد القديمة تحرم على النساء الكشف لا فقط عن اجسامهن بل وعن وجوههن أيضا ؟

واقتضت الضرورة القيام بتوعية ضخمة استمرت سنين بأكملها ، وكذلك اعداد مدربين ومشرفين رياضيين وطنيين قبل أن تأخذ التربية البدنية والرياضه فى آسيا الوسطى وفى المناطق القومية نفس الوضع كما فى المناطق المركزية بالاتحاد السوفييتى•

ففى أوزبكستان على سبيل المثال الى جانب انواع الرياضة القومية وهى الألعاب القومية وركوب الخيل والمصارعة ، تتطور كرة القدم وكرة السلة ، والانزلاق على جليد الجبال والسباحة ، والسلاح وألعاب القوى ، وعامة أكثر من ٣٠ نوعا من أنواع الرياضة • ويوجد فى هذه الجمهورية ٥٠ أستادا و ٦٦ حماما للسباحة وحوالى ٦٠٠ ملعب وأكثر من ٨٠٠ صالة رياضية • ويمارس التربية البدنية والرياضة ٢٠٪ من مواطنى الجمهورية •

وأوزبكستان اليوم ـ جمهورية خرج منها ٥٠ بطلا من أبطال العالم وأوربا والألعاب الأوليمبية والاتحاد السوفييتى • ويوجد

في عاصمة الجمهورية طشقند استاد « باختاكور » يسع ٧٠ الف متفرج . وينتهى العمل فى بناء مدينة أوليمبيــــة ، سوف تكون قاعدة رياضية تعليمية بها حلبات لسباق السيارات والدراجات ، ويلحق بها ميدان لسباق الخيل .

ولقد حصل رياضيو أوزبكستان مؤخرا على هدية أخرى – هى حلبة « باشليك » (« الشباب ») ، يمكن أن يتدرب بهـــا فى وقت واحد ٢٠٠ رياضى فى ١٨ لعبة رياضية . فبها ٥ ملاعب للكرة الطائرة ، وملعبان لكرة السلة ، وصالة لألعاب القوى وأخرى لرفع الأثقال ومضمار دائرى للعدو يبلغ طول محيطه مائتى متر .

ويوجد فى طشقند معهد للتربية البدنية يعد الاختصاصيين من ذوى التعليم العالى .

تقارب الامم

ان التوحيد بين الامم فى التجمع الرأسمالى يتم غالبا بوسائل العنف ، ذلك لأن العوائق الاقتصادية والاجتمــاعية والعقائدية ، والتناقضات الطبقية والقومية – كلها تعوق عمليـــة التقــارب الحقيقى .

والتقارب الحقيقى للأمم يبدأ فقط بعد انتصـــــار الثـورة الاشتراكية . ويحدث هذا بالتــدريج . ومرحلتـــه الأولى هى القضاء على عدم الثقة الذى كان سائدا بين الشعــوب ، واقــامة تعاون متبادل فى عملية بناء المجتمع الجديد . وكانت السيــاسة القومية اللينينية موجهة دائما للقضاء على عدم الثقة والشحناء المتراكمة عند الشغيلة خلال سنوات القيصرية بالنسبة للطبقات

العليا المشتغلة فى روسيا ، وموجهة فى نفس الوقت لتوضيح السياسة القومية للدولة الاشتراكية .

وكان القضاء على الطبقات المستغلة فى الاتحاد السوفييتى ومن بينها آخر الطبقات وأكثرها عددا ـ وهى طبقة الكولاك (الملاك الزراعيين المستغلين) ، هو المرحلة الثانية فى تقارب الأمم .

ويفتح بناء الاشتراكية وتحقيق المساواة الفعلية بين الأمم الأبواب الى المرحلة الثالثة من التقارب . وتصبح هذه العملية شاملة لكل مجالات الحياة الاجتماعية بعد الانتصار النهائى التام للاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى .

والمرحلة العليا فى تقارب الأمم تبدأ مع بناء الشيوعية :

فيم يظهر تقارب الأمم عمليا ؟ ان الأساس الاقتصادى لهذه العملية هو ظهور القاعدة المادية الفنية للشيوعية ، وهى القاعدة التى تشترك كل شعوب الاتحاد السوفييتى فى بنائها ، جامعة فى تناسق بين الأهداف الاممية ومصالح كل شعوب الاتحاد السوفييتى المتعدد القوميات .

والأساس السياسى لتقارب الأمم هو مواصلة تدعيم الدولة السوفييتية الشعبية ، وتدعيم تحالف العمال والفلاحين . أما الأساس العقائدى فهو النظرية الماركسية اللينينية ومبادىء الاممية الاشتراكية .

وتظهر وتتطور لدى الأمم أثناء عملية تقاربها سمات شيوعية مشاركة فى المعيشة والثقافة والاخلاقيات ، الأمر الذى ينتج عن تقوية التأثير المتبادل ، وتبادل الثروات بين الأمم .

وتسير عملية تقارب الأمم فى الاتحاد السوفييتى فى ثلاثة اتجاهات رئيسية : داخل كل جمهورية ، وداخل المناطق الاقتصادية

التى تشمل الجمهوريات المختلفة ، وعلى مستوى الدولة الاشتراكية كلها .

وتقارب الأمم داخل كل جمهورية مرتبط بأن كل جمهورية على حدة متعددة القوميات .

ولا توجد الآن فى الاتحاد السوفييتى أمة تعيش على أراضى جمهوريتها فقط . فعدد الأوكرانيين على سبيل المثال فى جمهورية أوكرانيا يشكل ٨٦ر٩٪ . فى جمهورية روسيا الاتحادية ٩ ٪ وفى كازاخستان ٢ ٪ وفى مولدافيا ١ر١ ٪ . ويشكل عدد الأوزبيك فى جمهورية أوزبكستان ٨٣ر٨ ٪ من السكان ، ويعيش منهم ٧٦ر٧٪ فى تاجيكستان و٦ر٣ ٪ فى قيرجيريا و٣ر١ ٪ فى كازاخستان و ٢ر١ ٪ فى تركمانيا و ٥ر٠ ٪ فى جمهورية روسيا الاتحادية . ويمكن ملاحظة مثل هذه الصورة فى توزيع السكان فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى الأخرى .

ومن الملاحظ وجود ظاهرة أخرى هى أن الثقل النوعى لممثلى القوميات الأصلية فى الجمهوريات ينخفض مع نمو تعدادهم العام فى نفس الوقت . فالثقل النوعى للأوزبيك فى أوزبكستان على سبيل المثال فى فترة ١٩٣٩ — ١٩٥٩ انخفض من ٦٥ ٪ الى ٦٢ر٢ ٪ رغم أن عدد الأوزبيك خلال هذه الفترة زاد بنسبة ٢٣ر٤٪ ، وانخفض الثقل النوعى للكازاخ فى كازاخستان خلال هذه الفترة كذلك بنسبة ٨ ٪ فى الوقت الذى زاد فيه عددهم بنسبة ٢١٪ ، وانخفض الثقل النوعى للقيرجير فى جمهورية قيرجيزيا بنسبة ١١ ٪ على حين أن عددهم فى الجمهورية قد زاد بنسبة ١١ ٪ .

وتتسم أية جماعة انتاجية بتعدد القوميات : المصنع والمزرعة الحكومية والمزرعة التعاونية والمعاهد الدراسية والمؤسسات العلمية — وأية خلية من خلايا المجتمع السوفييتى :

وتجرى عملية تقارب الأمم بسرعة خاصة فى المراكز الصناعية الكبرى . ويجب الأخذ فى الاعتبار ان ٨٨٤ مدينة جديدة قد ظهرت أثناء عملية البناء الاشتراكى . ففى السنوات الأخيرة وحدها ظهرت على خريطة الاتحاد السوفييتى ١٢٠ مدينة وبلدة سكنية جديدة . وتعيش الجماعات الانتاجية المتعددة القوميات فى المدن القديمة والجديدة بصفة خاصة . ففى طشقند ١٠٦ أمم ، وفى كييف ٨٩ أمة ودوشانبى ٨٠ أمة . ان الانشاءات الجديدة فى سيبيريا والشمال والشرق الاقصى والمناطق الأخرى من البلاد متعددة القوميات كذلك . ولقد عمل فى بناء محطة كهرباء براتسك ممثلو ٥٢ قومية .

وليست المدن وحدها متعددة القوميات ، بل وكل المناطق حتى المناطق القروية البعيدة حيث كانت تعيش فى وقت من الأوقات قومية واحدة فقط . ويحدث ذلك نتيجة لتصنيع الزراعة ورفع مستوى ميكنتها وكهربتها وتحويل العمل الزراعى الى نوع من أنواع العمل الصناعى .

ونتيجة لتقارب الأمم ، ازدادت نسبة حالات الزواج المختلط بين القوميات . فقد كانت نسبة الزواج المختلط فى طشقند وسمرقند عام ١٩٥٩ تشكل أكثر من ٣٥٪ من مجموع حالات الزواج ، وفى فرونزه كانت نسبة الزواج بين القوميات ٢٧ر٦ ٪ من مجموع حالات الزواج عام ١٩٦٥ .

ان تقارب الامم فى المناطق الانتوجرافية والاقتصادية المتكونة تاريخيا فى الاتحاد السوفييتى مرتبط فى الظروف الحالية بتوزيع العمل على نطاق الاتحاد كله والتخصص والتعاون الانتاجيين ، الأمر الذى يقضى بتجميع جهود الجمهوريات والمناطق المختلفة فى تقرير مهام بناء الشيوعية ، وفى ذلك تتركز أهمية كبيرة على الاصلاح الاقتصادى الذى يطبق حاليا فى الاتحاد السوفييتى . ويستهدف الجمع بين توجيه الفروع الانتاجية والتخطيط على مستوى المناطق،

وبين التوجيه المركزى مع تشجيع مبادرات الشغيلة على نطاق واسع •

وفى عام ١٩٦٥ وسعت الحكومة الاتحادية السوفييتية حقوق الجمهوريات فى مجال تخطيط الاقتصاد والبناء العام والمصروفات المالية ودفع أجور ومرتبات العمال والموظفين •

وآسيا الوسطى هى احدى المناطق الاقتصـــادية التى تم تكوينها • وتتعاون أوزبكستان وتاجيكستان وتركمانيا وقيرجيزيا فى مختلف المجالات الصناعية ، وانشأت هذه الجمهوريات شبكة موحدة للطاقة فى آسيا الوسطى ، كما تقيم خطوطا لأنابيب الغاز ، وتتضافر جهودها فى استصلاح منطقة كبيرة جديدة لزراعة القطن فى برارى جالودنيا • كل هذا بطبيعة الحال يزيد شعوب آسيا الوسطى وكازاخستان المتجاورة تقاربا وثيقا •

وتجرى عملية تقارب الأمم ليس فقط داخل الجمهوريات والمناطق الاقتصادية بل وعلى نطاق الاتحـاد السوفييتى ككل • فلجمهورية بيلوروسيا علاقات اقتصادية وطيدة بكل جمهوريات الاتحاد السوفييتى • فتروج بيلوروسيا على نطاق واسع فى كل الجمهوريات الشقيقة الجرارات وسيارات النقل وماكينات قطع المعادن وكراسى المحاور والدراجات النارية (الموتوسيكلات) ومنتجـات الخياطة والتريكو • وتبقى بيلوروسيا على ٥ ـ ٦ ٪ فقط من انتاجها لسد احتياجاتها الخاصة • وتقوم هى بدورها باستيراد المعـادن ومعدات توليد الطاقة والمعدات التكنولوجيـة ، والفحم الحجرى والسيارات والأجهزة والماكينات وكثير من السلع الاستهلاكية وذلك من الجمهوريات الأخرى • وهى تحصل من روسيا ، على سبيل المثال ، على حوالى ٨٥ نوعا من المنتجات المختلفة ، وتشترك أوكرانيا بـ ٤٧ ٪ من الانتاج المصدر الى بيلوروسيا •

وتصدر لاتفيا أكثر من ٣٠٠ نوع من المنتجات الى الجمهوريات

السوفييتية الأخرى ، وتسنورد لاتفيا بدورها ٢٧٠ نوعا من السلع المختلفة من هذه الجمهوريات .

ومع تطور العلاقات الاقتصادية المتعددة الجوانب يتسع نطاق تبادل الخبرات الانتاجية والمعلومات العلمية الفنية ، وكوادر العمال والاختصاصيين المهرة وهكذا . كما يتطور التنافس الاشتراكي والتعاون الأخوى .

ويسرع تقارب الأمم فى الاتحاد السوفييتى خطاه نتيجة التبادل الثقافى الواسع ودراسة اللغة الروسية فى كل مكان وهى اللغة التى أصبحت اللغة الوطنية الثانية لشعوب الاتحاد السوفييتى .

ما الذى يساعد على تقارب الثقافات القومية وتشكيل ثقافة اممية لكل الشعب السوفييتى ؟

نذكر بالدور الأول ترجمة واصدار مؤلفات الأدب السوفييتى والروسى الكلاسيكى والأجنبى باللغات الوطنية . ولكن هذا ليس الا جانبا واحدا من القضية . لقد ألف خلال سنوات السلطة السوفييتية أدباء الجمهوريات القومية الموهوبون مؤلفات كثيرة أصبحت رصيدا ذهبيا ثقافيا لكل الشعب السوفييتى . ان مؤلفات الشاعر الليتوانى ادواردس ميجيلايتس ، والشاعر الداغستانى رسول حمزاتوف (داغستان ــ جمهورية تقع فى التلال الشمالية لجبال القوقاز على شاطىء بحر قزوين) والكاتب التركمانى بيردا كاربابايف ، واديبى باشكيريا (باشكيريا ــ جمهورية ذاتية الحكم فى سفوح الجبال الغربية للاورال) وموستاى كريم وانور بيكتشينتايف ، والكاتب المسرحى الأوكرانى الكسندر كورنيتشوك وغيرهم ــ مترجمة لا الى اللغة الروسية فقط بل والى الكثير من لغات شعوب الاتحاد السوفييتى .

ولدبلجة الأفلام الطويلة والتسجيلية والعلميــة المبسـطة ، وكذلك البرامج التليفزيونية - والتى أصبحت في متناول الشغيلة في أبعد مناطق البلاد ، أهمية كبيرة فى عملية تقارب الأمم فى ظل الاشتراكية .

وكذلك من الممكن هنا ملاحظة عملية تبادل الثروات الثقافية القومية . فاذا أنتجت السينما فى جورجيا فيلما كوميديا قيما حقا فانه يدبلج على الفور لا فى روســيا وحــدها ، بل وفى الاستوديوهات القومية كذلك . ولقد عرضت الشاشة فى الاتحاد السوفييتى الكثير من الأفلام المدبلجة باللغات القومية لأوكرانيـا واستونيا ومولدافيا وأذربيجان وبيلوروســيا والجمهــوريات الاتحادية الأخرى .

وتساعد لقاءات العشرة أيام للآداب والفنون القومية والمهرجانات السينمائية السوفييتية على الاخاء الثقافى الأممى ، فتقام لقـاءات العشرة الأيام الأوكرانية على سبيل المثال فى كازاخستان ، وتقام الكازاخية فى بيلوروسيا ، وتقام البيلوروسية فى تاجيكستان وهكذا . وهذه اللقاءات والمهرجانات تصبح عادة أحداثا ذات طابع شعبى عام وتترك أثرا عميقا فى أذهان ملايين الشغيلة .

ان تبادل تأثير وثروات ثقافات شعوب الاتحاد السوفييتى يؤدى فى نهاية الأمر الى تكوين ثقافة شيوعية اممية موحدة يتبلور فيها بعد ذلك أفضل وأقيم ما فى الثقافات القومية .

وفى الاتحاد السوفييتى نظام موحد للاقتصاد ، ونظام واحـد للدولة وتعاون اقتصادى وثقافى دائم أوثق ما يكون ، يستهدف توزيع العمل بين مختلف مناطق البلاد . وكل هذا بدوره فى أشد الحاجة الى لغة موحدة كوسيلة للتفاهم والتى بدونهـــا لا يمكن تصور بناء وتطوير الاقتصاد والنجاح فى تشكيل ثقافة جديدة .

ومن الطبيعي فانه بدون لغة موحدة يستحيل لا العمل فقط ، بل التفاهم حول أبسط المسائل .

وتولد وتقوى في عملية بناء الاشتراكية والشيوعية ، صداقة الشعوب ، وتنمو الرغبة للتفاهم الروحي ومواصلة التبادل الثقافي . ولهذا فهناك حاجة الى لغة موحدة بالطبع

وهكذا فان الحياة نفسها والواقع الاشتراكي قد أمليا الحاجة الماسة الى لغة للتعامل بين القوميات .

ولكن لماذا أخذت اللغة الروسية بالذات على عاتقها تأدية هذا الدور ؟

يؤكد آخر احصاء للسكان (١٩٧٠) ، ولا يناقض جوهر بيانات الاحصاء السابق (١٩٥٩) ، التى تعلن أن الروس فى الاتحاد السوفييتى يشكلون ٥٤٫٨ ٪ من مجموع السكان .

ولقد أعتبر ٩٩٫٨ ٪ من المواطنين ذوى الأصل الروسى أن اللغة الروسية هى لغتهم القومية أثناء الاحصاء السابق وعلاوة على ذلك فطبقا للاحصاء نفسه كان ١٠ ملايين و ١٨٩ ألف مواطن من القوميات غير الروسية يعتبرون اللغة الروسية لغتهم القومية . وفضلا عن ذلك فان نسبة من يعتبرون اللغة الروسية لغة قومية لهم كبيرة للغاية بين بعض هذه الشعوب ، فان من بين شعب كاريليا (الجزء الشمالى الغربى من روسيا) يتحدث ٢٨٫٧ ٪ بلغة قومية أخرى — الروسية بصورة اساسية — وبين الغجر (مجموعة من الجنس الهند أوروبى موزعة فى كل الاتحاد السوفييتى) يتحدث ٤٠٫٧ ٪ باللغة الروسية ، وبين الايفنك (سيبيريا الوسطى) يتحدث ٤٤٫١ ٪ بالروسية ، وبين اليهود يتحدث ٧٨٫٥ ٪ وهكذا فان ما لا يقل عن ٦٠ ٪ من السكان يعتبرون اللغة الروسية لغتهم القومية .

وتؤكد الاحصائيات ان ٩٠ — ٩٥ ٪ من سكان الاتحاد

السوفييتى يتقنو اللغة الروسية بالقـدر الكافى للتفاهـم بين الأمم .

ومن المعترف به أن اللغة الروسية غنية الى ابعد الحدود وان لديها اكبر احتياطى لفظى فى العالم وكثرة المترادفات التى تسمح بالتعبير عن أدق لمحات الفكر . وطبقا لبيانات اليونسكو فان اللغة الروسية تحتل المكان الثانى بعد الانجليزية من حيث الكتب العلمية فى العالم .

ان اهمية اللغة الروسية فى العملية التاريخية العالمية تحـدد بأن بهده اللغة كتب ليبين المؤلفات العلمية الخالدة ، التى تحدد مستقبل البشرية . ولا يدور الحديث فقط حول أن العالم يقـرأ وينحنى تقديرا للمؤلفات العبقرية للكتاب الروس العظام تولستوى ودستويفسكى وغيرهما ، بل وحول ان الماركسية اللينينية من خلال الترجمة من الروسية قد فتحت عهدا جديدا فى النظرية الفلسفية الماركسية لتطور الأمم .

ولقد أصبحت اللغة الروسية ليس فقط وسيلة لتفاهم الأمم الاشتراكية بل ولواء حقيقيا للتفاهم المتبادل بين شعوب العالم أجمع . وتؤكد هذا كل مؤتمرات ممثلى الأحـزاب الشـيوعية والعمالية .

اننا مدركون لصعوبة ترجمة شعر الشاعر الروسى والسوفييتى العظيم مياكوفسكى ولكننا لا نستطيع ألا نذكر أبياته حيث يقول :

« حتى ولو كنت زنجيا بلغ بى الهرم
كنت قد تعلمت الروسية
دون أنين وكسل
لا لشىء الا ان بها
كان يتحدث لينين » .

ان تقارب الامم في الاتحاد السوفييتي لا يسير بصورة عفوية بل توجهه السلطة السوفييتية التى تناضل دون هوادة ضد القومية البرجوازية بمختلف أشكالها •

لا يوجد في الاتحاد السوفييتي اساس اقتصادي او اجتماعي للتعصب القومي • غير انه لا يجب ان يفهم من ذلك أنه قد تم القضاء تماما على كل مظاهر التعصب القومى وبقاياه العقائدية في البلاد •

القومية البرجوازية ظاهرة تميز المجتمع القائم على الاستغلال والاضطهاد • غير ان هذه العقائدية يمكن أن تنفذ الى وعي الناس الذين ليست لهم علاقة تربطهم بالمجتمع البرجوازي ، بل قد يكونون لم يروه أو يعيشوا في ظله • فالشباب كما هو معروف قد ينساق في بعض الأحيان مع آراء تناقض مصالحه الموضوعية • ويحدث احيانا ان بعض الناس نتيجة لعدم النضج السياسي وعدم كفاية الصلابة الفكرية يفقدون الشعور بالكرامة القومية والاعتزاز وينساقون وراء شعور النعرة القومية ، والتصور الكاذب لاستثنائيتهم وعلاهم القومي •

ويحدث كذلك احيانا أن يواجه بعضهم بين مصالح أمته ومصالح الدولة العامة دون تقييم للمهام الاتحادية المشتركة • وهذا بدوره من التعصب القومي •

ان مخلفات القومية البرجوازية هى المبالغة في الخواص القومية مع عدم تقدير الكنوز الثقافية للشعوب الأخرى • وبث التقاليد والعادات الرجعية تحت ستار الخواص القومية • وكذلك وقائع تبجيل القياصرة والخانات (الامراء) والاقطاعيين والغزاة دون تقييم موضوعي لأعمال هذه الشخصيات التاريخية من وجهة النظر الماركسية الطبقية • ومن هذه النكبة ايضا دمث التناقضات الاجتماعية في تاريخ الشعوب •

ومهما كانت الأشكال التي تظهر فيها مخلفات التعصب القومي ، فانها تناقض المصالح الحقيقية لكل شعوب الاتحاد السوفييتي .

وتقف الامية والوطنية على الطرف المناقض للتعصب القومي بمختلف انواعه . والامية والوطنية هما جانبان لكل متكامل ، جانبان مرتبطان للعقائدية الاشتراكية الواحدة . غير ان الشعور الوطني الذي كان قد ظهر فترة ما قبل الرأسمالية يقوى دون شك في عهد تشكل الأمم . وفي نفس الوقت فان الامبريالية ، بانشائها سوقا عالمية موحدة — تشجع بكل الوسائل الكوسموبوليتية ، التي تنفي الوطنية في الواقع .

ولقد نمذ نطور العملية التاريخيه كنبه الكوسموبوليتية كاحد اشكال العقائدية الامبريالية .

ان الشعب السوفييتي الموحد والمتعدد القوميات — هو وحدة أممية لها بعض سمات الوحدة العالمية المقبلة . فالمستقبل للشيوعية ، والمستقبل للوحدة الكاملة واندماج الأمم .

***

ما هي طرق مواصلة التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمناطق القومية السابقة في الاتحاد السوفييتي ؟ ويجيب على هذا السؤال برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي .

يجري في ظل الاشتراكية — كما جاء في البرنامج — ازدهار الأمم وتدعيم سيادتها . ويقوم تطور الأمم على طرق تقاربها والتعاون الأخوي والصداقة . ان ظهور مراكز صناعية جديدة واكتشاف واستغلال الثروات الطبيعية ، واستصلاح الأراضي البور وتطور كل أنواع النقل والمواصلات — كل هذا يقوي نشاط السكان ويساعد على توسيع التفاهم المتبادل بين شعوب الاتحاد السوفييتي . وفي الجمهوريات السوفييتية يعيش ويعمل جنبا الى جنب أناس من قوميات كثيرة . وبدأت الحدود بين

الجمهوريات الاتحادية تفقد معناها السابق . وبما أن كل الأمم متساوية فان حياتها تقوم على إساس اشتراكى موحد ، وتفطى الاحتياجات المادية والروحية لكل شعب بقدر متساو ، وتوحد كل شعوب الاتحاد في أسرة واحدة مصالح حيوية مشتركة ، وتتجه كلها نحو هدف واحد ــ هو الشيوعية .

وسوف يحدث بانتصار الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى تقارب أكبر بين الأمم ، وستزداد وحدتها الاقتصادية والروحية ، وستطور السمات الشيوعية المشتركة مظهرها المعنوى . غير أن ازالة الفوارق القومية وخاصة الفوارق اللغوية ــ هى عملية تطول أكثر من ازالة الفوارق الطبقية .

ولا يسمح الحزب الشيوعى السوفييتى لا بالتغاضى عن الخواص القومية ولا باذكائها . ويسعى الحزب في برنامجه فى مجال العلاقات القومية ــ الى مواصلة التطوير الشامل لاقتصاديات وثقافة كل الأمم والقوميات السوفييتية ، محققا لها تعاونا أخويا أكثر قوة ، وتماسكا وتقاربا فى كل مجالات الحياة ، ومحققا التدعيم الشامل للاتحاد السوفييتى .

وسيستمر فى المستقبل فى الاتحاد السوفييتى برنامج التطوير الشامل لاقتصاديات الجمهوريات الشقيقة ، وسوف يجرى ضمان التوزيع المخطط للانتاج واستغلال الثروات الطبيعية على أساس التخطيط ، وتحسين التوزيع الإشتراكى للعمل بين الجمهوريات عن طريق توحيد وتنسيق جهودها ، والمزج السليم بين مصالح الدولة الإتحادية ومصالح كل جمهورية سوفييتية . وانطلاقا من أن توسيع حقوق الجمهوريات الاتحادية فى ادارة اقتصادها القومى قد أعطى نتائج ايجابية كبيرة ، فمن الممكن تنفيذا مثل هذه الاجراءات فى المستقبل مع الأخذ فى الاعتبار ان انشاء القاعدة المادية الفنية للشيوعية سيحتاج الى علاقات وتعاون أوثق بين الجمهوريات السوفييتية .

ومن الممكن لنجاح تقرير مهام البناء الشيوعى ، وتنسيق النشاط الاقتصادى ، انشاء هيئات اقتصادية تشترك فيها الجمهوريات فى مناطق معينة (هيئات تختص بمثل هذه المسائل كالرى وشبكات الطاقة الكهربية والمواصلات ... الى آخره) .

وسوف تتبع كالسابق السياسة التى تضمن المساواة الحقيقية لكل الأمم والقوميات مع اعتبار مصالحها وتركيز الاهتمام على مناطق البلاد التى تحتاج الى تطور أسرع . وسوف توزع الخيرات المادية المتزايدة بالعدل بين كل الأمم والقوميات .

والهدف الهام لبلاد السوفييت هو مواصلة تحقيق الازدهار الشامل لثقافة كل الشعوب الاشتراكية المضمون ، والقومية الشكل .

والتجربة التاريخية للأمم الاشتراكية تدل على أن الأشكال القومية لا تتجمد بل تتغير وتتحسن وتتقارب فيما بينها ، متحررة من كل ما هو متخلف ومناقض لظروف الحياة الجديدة . وتتطور الثقافة الاممية المشتركة لكل الأمم السوفييتية . وتزداد ثروة الكنوز الثقافية لكل أمة أكثر فأكثر ، بالأعمال التى تكتسب طابعا امميا .

والحزب الشيوعى السوفييتى ، وهو يولى اهتماما حاسما بتطوير المضمون الاشتراكى لثقافات شعوب الاتحاد السوفييتى — سوف يعمل على مواصلة الأغناء المتبادل للثقافات وتقاربها ، وتدعيم أساسها الأممى ، وتكوين ثقافة المستقبل لكل البشرية والموحدة للمجتمع الشيوعى . وفى نفس الوقت الذى يؤيد فيه المجتمع الاشتراكى السوفييتى التقاليد التقدمية لكل شعب ويجعلها ملكا للشعب السوفييتى أجمع ، سوف يطور تطويرا شاملا التقاليد العامة الثورية الجديدة لبناء الشيوعية بالنسبة لكل الأمم .

وسوف يواصل التطور الحر للغات شعوب الاتحاد السوفييتى

طريقه ، وسيستمر ضمان حق كل مواطن فى التحدث وتربية وتعليم أطفاله بأية لغة مع عدم السماح بأية امتيازات او قيود أو إجبار فى استخدام هذه اللغة أو تلك وتتطور اللغات القومية على اساس من المساواة وتبادل الثروة فى ظل الصداقة الأخوية والثقة المتبادلة .

ان عملية الدراسة الاختيارية للغة الروسية بجانب اللغة القومية ، لذات أهمية ايجابية ، لأن ذلك يساعد على تبادل الخبرات واندماج كل أمة وقومية مع الانجازات الثقافية لشعوب الاتحاد السوفييتي الأخرى وكذلك مع الانجازات الثقافية العالمية. ولقد أصبحت اللغة الروسية فى الواقع لغة للتفاهم بين الأمم ، والتعاون بين كل شعوب الاتحاد السوفييتى .

وسيواصل الاتحاد السوفييتى بانتظام اتباع مبادىء الاممية فى مجال العلاقات القومية ، وسوف تدعم بالاشتراكية ، الصداقة بين الشعوب كأحد الانجازات الهامة . وسوف يناضل المجتمع السوفييتى دون هوادة ضد مظاهر ومخلفات التعصب القومى ، وضد اتجاهات القصور القومى والاستثنائية القومية ، وضد اضفاء صورة مثالية على الماضى وطمس التناقضات الاجتماعية فى تاريخ الشعوب ، وضد العادات والأخلاقيات التى تعوق البناء الشيوعى. ويحتاج المدى المتزايد للبناء الشيوعى الى تبادل دائم للكوادر بين الأمم . ومن غير المسموح به أى شكل من أشكال العزلة القومية فى تربية واستخدام العاملين من مختلف القوميات فى الجمهوريات السوفييتية . ان القضاء على آثار التعصب القومى يتفق ومصالح كل أمم وقوميات الاتحاد السوفييتى . وان كل جمهورية سوفييتية لا يمكنها مواصلة الازدهار الا فى كنف الأسرة العظيمة للأمم الاشتراكية الشقيقة فى الاتحاد السوفييتى .

الشعب السوفييتي ـ وحدة تاريخية جديدة للبشر

(من تقرير ليونيد برجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ، الذى القاه فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى) .

« ان تحقيق الحزب للسياسة القومية اللينينية ـ سياسة المساواة والصداقة بين الشعوب ـ لهو أحد الانجازات الكبيرة للاشتراكية .

ولقد احتفل مؤخرا الكثير من الجمهوريات بذكرى مرور نصف قرن على قيامها . وكان ذلك بحق عرضا مؤثرا لازدهار الأمم الاشتراكية ، وللوحدة المتراصة لكل شعوب وطننا . وسوف نحتفل فى العام القادم بالذكرى الخمسين لقيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية . ويحتل تكوين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية مكانا بارزا فى تاريخ دولتنا من حيث أهميته السياسية وآثاره الاجتماعية الاقتصادية .

ان كل أمم وقوميات بلدنا وفى مقدمتها الشعب الروسى العظيم ـ قد أدت دورها فى تكوين وتدعيم وتطوير هذا الاتحاد الضخم للشعوب المتساوية الحقوق والتى انتهجت طريق الاشتراكية . ان الطاقة الثورية للشعب الروسى وتفانيه وحبه للعمل وأمميته العميقة أكسبته بحق الاحترام الصادق من كل شعوب وطننا الاشتراكى .

ولقد تم فى السنوات الماضية بقيادة الحزب تحقيق خطوات جديدة نحو التطوير الشامل لكل جمهورية من الجمهوريات

السوفييتية الشقيقة ، ونحو مواصلة التقـــارب التدريجي لأمم وقوميات بلادنا .

ويجرى هذا التقارب تحت ظروف التقدير الواعي للخواص القومية وتطور الثقافات القومية الاشتراكية . ان التقدير الدائم لكل من المصالح المشتركة للاتحاد السوفييتي ككل ، ومصـــالح كل جمهورية من جمهورياته ـ هو جوهر سياسة الحزب في هذه المسألة .

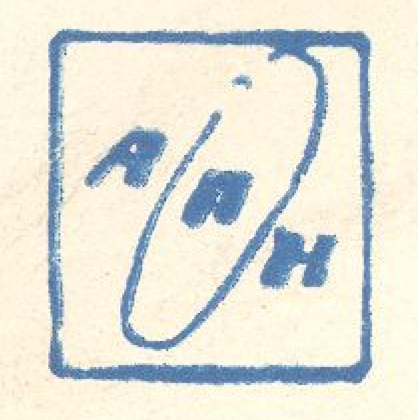
وسوف يواصل الحزب تدعيم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، محققا بانتظام النهـــج اللينيني لازدهـــار الأمم الاشتراكية وتقاربها التدريجي . وسوف يواصل الحزب تربية كل الشغيلة على روح الاممية الاشتراكية ، وعدم مهادنة اي من مظاهر التعصب القومي والقصور القومي والغطرسة بكل أشكالها ، وعلى روح الاحترام العميق لكل الأمم والقوميات .

ولقد ظهرت خلال سنوات البناء الاشتراكي في بلدنا وحدة تاريخية جديدة للبشر الا وهي الشعب السوفييتي . كما ولدت في العمل المشترك والنضال من أجل الاشتراكية وفي معارك الدفاع عنها ، علاقات جديدة متناسقة بين الطبقات والفئات الاجتماعية ، وبين الأمم والقوميات ـ علاقات الصداقة والتعاون . ان شعبنا متلاحم بوحدة العقيدة الماركسية اللينينية ، والأهداف السامية لبناء المجتمع الشيوعي . ويستعرض الشعب السوفييتي المتعدد القوميات هذا التماسك المتراص بعمله ، وبتشجيعه الاجتماعي لسياسة الحزب الشيوعي » .

المحتـويات

صفحـة

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



مطابع شركة الاعلانات الشرقية